مختلة

محمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

رواية

مختلة

مالك محمد حسين

2020

مفتتح:

كانت نائمة في سريرها بالعزل كملاك كسر جناحيه, أسفل عينيها خندقان من السواد و برزت عروقها الزرقاء على ذراعيها و أمتدت حتى كفيها كنهران بين الجليد, ساكنة تماماً و ملامحها هادئة بالنسبة لشيطانة من الإنس, برغم خطاياها و تعبها الذي أثر بالتأكيد على جمالها, إلا إنها مازالت ساحرة, عدت إلى مكتبي و إلتقطت دفتر المذكرات فوجدت ضوضاء و صياح و صراخ عالي و الممرض أتاني راكضاً لاهثاً مفزوعاً و هو يقول:

- إلحق نور يا دكتور ...

****

قد تكون النهاية بداية جديدة, وقد تكون...

(1)

من النادر جداً حدوث مثل هذا الإزدحام الشديد في قسم ثاني القاهرة الجديدة بالتجمع الأول, يبدو أن هناك ســـكان كومباوند بالكامل داخل المبنى, المكان الأكثر إزدحاماً هنا هو مكتب رئيس المباحث, حيث يتجمع أمامه الكثير من الشــباب و رجلان و ثلاثة ســيدات كلهم من أرقى طبقات المجتمع، و هناك فتاة عشــرينية صامتة و رجل أربعيني وقور أمام المكتب, الضوضاء عالية فالكل يتكلم في نفس الوقت ولا أحد يسمع حتى خرجت الصامتة عن صمتها و صرخت بصوت مرتفع جداً ليسود السكون بعد ذلك...

خرج رئيس المباحث عن صمته قائلاً:

- يا أســتاذة نور كدة كتير بصــراحة، دة المحضــر رقم 12 ليكي في شــهرين، أنا مقدر حالتك و والدك الله يرحمه كان القائد بتاعي، بس كدة مينفعش، مش بعيد المرة الجاية الاقيكي مموتة حد.

تكلم الرجل الوقور قائلاً:

- يا نادر باشا حضرتك عارف كويس الحالة بتاعتها...

رد رئيس المباحث مقاطعاً:

- بس كدة كتير يا أســتاذ محروس، مرة ضــرب بآلة حادة، مرة خنق لحد الإغماء و غيره و غيره لحد ما اهيه وصلت لشاكوش.

نظر لها قائلاً:

- شــاكوش يا إســتاذة نور! بتضــربيها على دماغها بشــاكوش! هو أصــلاً إنتي جيبتي شــاكوش منين في الكومباوند!

عاد لحديثه مع محروس:

- إنت عارف لو حد من اللي رفعوا عليها القضــية دي متنازلش و الموضــوع وصــل للنيابة، أقل ما فيها هتترمي في مصحة، دة لو مش أسوأ، إنت محامي و فاهم.

- مفهوم يا باشا.

و قام محروس معتذراً للجميع:

- أنا بعتذر بالنيابة عن الآنسة نور، و إن شاء الله مش هيحصل أي موقف مشابه تاني و أنا..

أحدهم مقاطعاً:

- و تضمن منين بقى إن المجنونة دي مش هتكون خطر علينا!

نظرت له نور نظرة حادة فقال محروس متداركاً الموقف:

- أنسة نور هتسيب الكومباوند خالص هي و آنسة رنا و هيسيبوا التجمع كلها!

***

تظهر ملامح الحزن على وجه "رنا" و هي تنظر للمنزل نظرة أخيرة قبل أن تدلف إلى المقعد الخلفي لسيارتها التي أصر "بلال" على قيادتها بدلاً منها، جلست بجانب "نور" الشاردة تماماً، نظرت "رنا" في عيني أختها الشاردة ذات الوجه الحزين فلانت ملامحها و أمالت رأسها على كتف "نور" إرهاقاً , لم تنتبه "نور" و لم تتحرك لكنها قالت بإنكسار:

- أنا السبب.

إعتدلت "رنا" في جلستها و ربتت على كتف أختها قائلة:

- إيه بس اللي بتقوليه دة يا حبيبتي, لا يا ستي مش إنتي السبب، هما اللي ولاد كلب و كومباوند زبالة، و بعدين اللي قرر كدة هو محروس المحامي.

- وهو قال كدة ليه الراجل مشكوراً لقى إن دة الحل الوحيد اللي يخرجني منها قبل ما نمشي بفضيحة المرة الجاية.

- بصي، متفكريش كتير، دة نصيبنا و أكيد خير لينا، وبعدين يا قمر ابسطي كدة دة أحنا رايحين زايد.

- أنا السبب.

- يا حبيبتي متقوليش كدة.

- أنا السبب.

- لالالا ركزي معايا... بصيلي.

ضربت "نور" بيدها على رأسها عدت مرات و صرخت:

- أنا السبببببب.

أسرعت "رنا" بمحاولات مستميتة لتهدئة أختها قبل أن تصرخ في "بلال":

- أركن على جمب.

أوقف "بلال" السيارة بجانب أحد الأرصفة في طريق سريع ففتحت "رنا" الباب و ركضت إلى باب "نور" فتحته و سحبت أختها للخارج التي علمت أصابعها على وجهها و جبهتها من كثرة لطم نفسها، خرجت " نور" من السيارة و سقطت على ركبتها و أنهارت بالبكاء وسط ذهول من "بلال"، جلست "رنا" بجانب أختها و ربتت على كتفها و قالت:

- طيب يا حبيبتي بصي، أياً كان السبب مفيش حاجة ممكن تتغير، اللي حصل حصل، خلينا نفكر في المهم.

ظلت "نور" تبكي بحرقة و ظهر على "رنا" الإرتباك، فكرت قليلاً قبل أن تقول:

- على فكرة بقى أنا اللي هاخد الأوضة اللي فيها دريسينج.

صمتت "نور" فجأة فعلمت "رنا" أن خططها نجحت فأكملت:

- مش أنا الكبيرة! يبقى حقي أنقي الأوضة اللي على مزاجي.

قالت "نور" جملة لم تسمعها أختها فأخبرتها لترفع "نور" رأسها و تقول:

- على فكرة مش كبر 5 دقايق اللي يخليكي تقولي انك الكبيرة يعني.

إبتسمت "رنا" و غرست سن الحقنة في رقبة أختها فنظرت "نور" ليد "رنا" بذهول ثم لوجهها و سقطت فاقدة الوعي.

***

للمرة العشرون ينظر "بلال" في مرآة السيارة لـــ"رنا" و "نور" النائمة على فخذ أختها حتى خرجت "رنا" عن صمتها قائلة:

- أنا آسفة أوي يا بلال على كل اللي حصل، و معلش تعبتك معايا جداً.

- ايه اللي بتقوليه دة بس يا رنا، إحنا من إمتى بيننا الكلام دة!

- معلش إنت عارف الإسبوع طويل و متعب و مليان مشاكل، متاخدش على كلامي.

- يا ستي مفيش حاجة، قوليلي.. أو فهميني.. نور مالها!

زفرت "رنا" بتعب و أشاحت ببصرها قبل أن تقول:

- نور أختي يا سيدي...

***

توقفت السيارة بجراج إحدى عمائر الشيخ زايد الفخمة، ترجلت "رنا" من السيارة و أشارت لـ"بلال" الذي فتح الباب و وثب للخارج بجهل تام عما يفترض أن يفعله، نظر لـــ"رنا" التي أمرته أن يحمل معها "نور" الفاقدة لوعيها لكنه قال بحرج:

- أشيلها!

- هتشيلها معايا.

- بس...

- من غير بس يا بلال أنا واثقة فيك، و بعدين أنا اللي طالبة منك.

- خلاص حاضر.

سحبها بلال لخارج السيارة و حاولت "رنا" مساعدته في رفعها لكنها سقطت عدة مرات دون أن تشعر بشئ مما أثار قلق "بلال" فطلبت "رنا" منه أن يحملها بمفرده و يتبعها، فرفعها الرياضي على كتفه و تبعها على درجات السلم لأنه من المستحيل ركوب المصعد بهذا الوضع، سبعة أدوار صعدوها حتى أصبح "بلال" يلهث كعداء فاز بالماراثون للتو، فتحت "رنا" الباب و أشارت له بالدخول فركض بـــ"نور" إلى الأريكة المواجهة للباب و قذفها عليها ثم جلس أرضاً يحاول إلتقاط أنفاسه، إعتذرت "رنا" منه للمرة الخمسون و هي

تمد يدها إليه بكوب من المياة الذي ما إن لمحه حتى خطفه من يدها و إبتلع ما به دفعة واحدة و عاد يلهث، عدلت "رنا" من موضع جسد "نور" و جلست تلتقط أنفاسها هي الأخرى، مرت دقائق ساكنة حتى قطعتها "رنا" قائلة:

- أنا أسفة أوي يا بلال أنا تعبتك أوي معايا و بهدلناك خالص.

- متزعلينيش منك بقى، أنا و الله لو أقدر أساعد أكتر من كدة مكنتش هتأخر دي أقل حاجة ممكن أقدمهالك و الله.

- و الله فيك الخير يا بلال، أنا بجد مش عارفة من غيرك كنت هعمل إيه، إنت أنقذتني.

- بلاش الكلام دة، عالعموم يا ستي لو إحتاجتي أي حاجة مهما كانت كلميني و أوعي تتكسفي.

- أنا بجد مش عارفة أشكرك إزاي...

قاطعها قائلاً:

- تتجوزيني؟

صمتت فجأة و هي تحاول إستيعاب السؤال و الموقف و بدى الذهول على ملامحها بوضوح شمس الصيف، نظرت لعينيه البنيتان و لمحت فيهما حب حقيقي و أمل و توسل بعدم الخذلان، كادت أن ترد قبل أن تسمع تآوه "نور" التي إعادت لوعيها و هي تتوجع من صداع ضرب رأسها إثر المخدر فركضت "رنا" لها قائلة:

- إهدي يا حبيبتي أنا جمبك أهوه.

و ربتت على كتفها و قبلت رأسها و "نور" تحاول إستيعاب و تذكر ما حدث، و فجأة إتسعت عيناها و دفعت "رنا" لتسقط أرضاً و هبت واقفة فبدون وعي منه وقف "بلال" لا يعرف ماذا يفعل فصاحت "نور":

- برضه خدرتيني و أنا محلفاكي برحمة بابا، وعدتيني إنك متعمليش كدة خالص و أنا غبية و صدقتك، كان لازم أعرف إن إنتي كمان شايفاني مجنونة، حتى إنتي!

و ركضت لإحدى الغرف و صفعت الباب حتى إهتزت الجدران، فبسرعة توجهت "رنا" لباب الغرفة تحاول فتحه فلمحت "بلال" يقف عاجزعن فعل شئ و مذهول فإعتذرت له و قالت:

- معلش عشان خاطري إمشي دلوقتي وهكلمك عشان خاطري يا بلال متزعلش.

- لا مفيش حاجة أنا همشي و إبقي طمنيني.

و توجه للباب و هو يجر جراح خيبة الأمل و عندما وصل للباب ألقى مرة أخرى على حلم حياته فوجدها تطرق الباب و تتوسل لنور أن تسامحها و تفتح الباب، فشعر بألم نفسي و طأطأ رأسه و أغلق الباب خلفه بعدما غادر.

- طب تمام خلاص، هستنى حضرتك، مع السلامة.

أنهت "رنا" المكالمة و ألقت بجسدها على الأريكة بجانب "نور" التي رشفت من المج الخاص بها و نظرت لأختها بأستغراب قائلة"

- خير؟

- محروس المحامي خلص كل الإجرائات، كدة كل حاجة في الحكومة هتتغير على هنا، و كان بيقولي إن في كذا حد كلمه عالفيلا و هو هيشوف أحسن عرض .

- أنا مش عارفة لولا أونكل محروس دة كنا هنعمل إيه بعد بابا الله يرحمه.

- فعلاً، بابا بيعرف ينقي صحابه.

- و إنتي.

- أنا إيه؟

- بتعرفي تنقي صحابك، بلال دة طلع جدع جداً، وعلى فكرة بقى...

كانت قد نسـت ما قاله "بلال" لكن جملة "نور" جعلت الموقف يقفز في رأسـها مرة أخرى فأنتابها شـرود غريب، منذ متى و "بلال" يريد الزواج منها، "بلال" إبن "وائل رشـاد" أهم رجل أعمال في مصـر! "بلال" الذي كانت تتسـابق الفتيات في الجامعة للفوز بقلبه، يريد الزواج مني أنا! لما أنا؟ لماذا ليسـت تؤامتي حتى فهي أوسم مني بكثير؟ أبسبب مرضها؟ هل ما حدث قد حدث حقاً!

- إيييييه يا بنتي! بكلمك بقالي ساعة!

إنتبهت "رنا" لصوت أختها فقالت:

- أنا سرحت صح؟

- لا خالص ما أنا كنت بكلم أمي، روحتي فين؟ إحكيلي.

- بفكر إزاي أوقع الواد بلال.

- و توقعيه ليه؟ دة جزاءه عشان ساعدك يعني! ولا عشان يتعور توديه المستشفى تبقوا خالصين!

- مستشفي إيه! ركزي يا نور، قصدي أوقعه في واحدة فينا.

- بتهزري صح!

- لا بتلكم بجد، عارفة دة أبوه مين؟ لو إتجوز واحدة فينا مش هيخليها محتاجة حاجة.

- ركزي يا رورو، أنتي واخدة بالك بتقولي إيه؟ إنتي من إمتى بتفكري كدة، و بعدين ما بابا كتبلنا كل حاجة قبل ما يموت و فعلاً إحنا مش محتاجين حاجة.

- بس إحنا بنتين يا نور، لواحدنا، ملناش ضهر نتسند عليه، و دة ضهر و ضهر اوي كمان.

- بصراحة أة الواد عليه حتة بنش، و لا دراعاته، يخربيت كدة.

- إنتي بتهزري يا نور!

- و الله إنتي اللي بتهزري يا قلب نور، و دي هنعملها ازاي، نخطفه!

- سيبيلي أنا الموضوع دة.

- يعني إنتي خدتي القرار خلاص.

- إستني و إتفرجي.

- لا أنا هقوم أعمل نيسكافيه تاني.

أمسكت "رنا" بالهاتف و أجرت إتصال بـــ"بلال"، نهضت "نور" و إتجهت للمطبخ و هي تسمع كلمات إختها، دخلت المطبخ و نظرت جيداً للخارج، يبدو أنها تخفي شيئاً.. أخرجت زجاجة فودكا خبئتها جيداً في وقت ما و ملأت كوباً كبيراً و خفت الزجاجة مرة أخرى، تجرعت الكوب و أمسكت رأسها بكلتا يديها من تأثير الكحول المفاجئ، ثم غسلت الكوب جيداً و أعادته في مكانه و عادت لأختها التي سمعتها تقول:

- هفهمك كل حاجة لما أشوفك.. لا قريب.. هظبط و أقولك..باي.

و أغلقت المكالمة و نظرت بفخر لـ"نور" قائلة:

Yes -

***

سقط الهاتف من يده و دموعه محبوسة في عينيه تتوسل له ان يحررها، مازال غير مصدقاً، لماذا رفضته؟! هو الذي كان يظن أنه لا يُرفضَ، فقد أوتي من خير الدنيا أجمله، المركز و السلطة و الوسامة و الثراء و كل ما تتمناه اي فتاة في أي شاب، إذاً ماذا! لماذا الوحيدة التي أحبها بصدق رفضته للتو! يبدو أن كلام مسلسلات التسعينات حقاً ولا يوجد من يحصل على كل شئ، لكنه لا يريد سواها، لا يريد غيرها، فلتأخذ الدنيا كل ما يملك و يترك له قلبها، نهض و إتجه إلى الحوض بغرفته دفن رأسه أسفل الصنبور فأنفتحت المياة بشكل تلقائي، كل قطرة تسقط على رأسه تزيد من حسرته و إختناقه فرفع رأسه و نظر في وجهه أمام المرآة، أرفضته لأن بشرته سمراء إلى حد ما؟ أم لأن عينيه بنيتان ولا تحملان لوناً فاتحاً مميزاً؟ هل يمكن أن يكون بسبب أن شعره ليس ناعماً بالقدر الكافي لجعل القليل من الهواء يبعثره؟ ألم تكن تمريناته كافية لبناء عضلاته؟ أغمض عينيه بشدة و نفض رأسه محاولاً طرد ما بها، إنحنى يلتقط هاتفه من الأرض ثم هوى بجسده على فراشه في إستسلام، فتح هاتفه ثم بسرعة توجه لأول صورة تجمعه مع "رنا"، إبتسامتها ساحرة.. جمالها فاتن..نظرتها قاتلة.. كيف لهذه الفاتنة ألا تكون لي.. كيف لها أن تكون لغيري.. أن يمسها أحد سواي..نهض و ألقى بهاتفه بغضب فسقط متحطماً كقلبه.. وقف في شرفته يحاول إقحام الهواء غصباً إلى رئتيه بعد أن تقطعت أنفاسه، تخيلها في أحضان غيره، تخيلها تحمل طفلة ليست إبنته، تخيلها تتأبط ذراع رجلاً غيره، بكى، ضرب بقبضته سور شرفته حتى صرخت يده ألماً.. تحرك، رفع قدماه و وقف على شرفته و تنفس بهدوء، شهيقاً عميق، زفيراً هادئ.. و ترك جسده للهواء..

***

ثلاث طرقات على الباب، قامت "نور" و هي تأكل "ســـناكس" و يدها ملطخة بحبوبه الدقيقة، فتحت الباب بإهمال و هي تحشـر أصـابع سـناكس في فمها لكنها فغرت فمها حينما رأت الطارق نظرت بذهول للواقفين أمامها لا يفصل بينهما سوى عتبة الباب، قطع الصمت قول أحدهم:

- أنسة رنا إتفضلي معايا.

(2)

- هو أنا متهمة بحاجة؟

قالتها نور في حزم و هي تجلس أمام مكتب رئيس مباحث قسم شرطة زايد فقال لها :

- يا أستاذة رنا إنتي مكبرة الموضوع، دة مجرد إجراء طبيعي، بعد اللي حصل لازم نستجوب كل المحيطين بيه...

تصـاعد رنين هاتف "نور" فأختلسـت النظر له لتراه معلناً عن إتصـال من"رنا" عادت الإنتباه لكلام الظابط الذي أنها كلامه قائلاً:

- فالأحسن لو عندك معلومة إنك تتعاوني معانا من غير ما تخافي من أي حد.

تعمد الإشارة لخوفها بتلك الطريقة عسى أن تكون رأت أو سمعت شيئاً لكنها تخشي أن يعود القاتل منتقماً، فبرغم كل شئ هي شابة صغيرة تعيش بمفردها مع أخت مجنونة فبالتأكيد مكسورة الجناح.. لكنه فوجئ بها تهب واقفة وهي تقول بغضب مكتوم:

- أنا اللي عندي قولته و أنا قولت لحضـرتك كل اللي أعرفه، و قولتلك إن أنا و أختي مكملناش شـهر واحد في شقتنا و ملناش إختلاط بالجيران و أياً كان مين جارنا اللي إتقتل دة أنا مكناش عندي فضـول أعرفه و هو عايش فأكيد مش هحب أعرف عنه حاجة و هو ميت، و إســمحلي لو في أي إتهام أو أي إســتفســار يكون بحضـور أسـتاذ محروس نصـر الدين المحامي وإسـمحلي أسـتأذن عشـان سـايبة نور لواحدها و دة خطر جدا عليها.

و دون إنتظار لموافقته إتجهت للباب و خرجت في ثقة أن ما فعلته لن يثير غضــبه، فهي بكل الأحوال إبنة بطل راحل في الشــرطة و يرعاها أحد أكبر أباطرة المحاماه، كما أن دفعها بقصــة أختها المجنونة سـتجعله يتفهم و يعذر رد فعلها، لعنت نفســها، تكره حين تدفع بحالتها في وجه المصــاعب لتجنب المشــاكل، سَـبّتَ نفسـها و مرضـها و جارها القتيل اللعين الذي تسبب موته في ضـياع سـاعات غياب "رنا" عن المنزل و قتل راحتها و إستمتاعها ببعض الممنوعات كالكحول و...

مرة أخرى يصــرخ الهاتف معلناً عن إتصــال اخر من "رنا" و في ثقة و هي تغادر قســم الشــرطة ففتحت المكالمة على الفور..

- ألو.

صرخت "رنا":

- إنتي فيييييين؟

- إهدي بس..

صرخت مقاطعة:

- أهدى! أنتي بتستهبلي؟ مش أنتي حلفتي و وعدتيني!

- و وفيت كل المرات اللي فاتت و الله بس غصب عني المرة دي.

زفرت "رنا" محاولة لتهدئة نفسها ثم قالت:

- طب إنتي فين؟

- راجعة أهوه.

- خليكي مكانك، قوليلي إنتي فين بالظبط و هاجي أخدك.

- تاااااني... اقسم بدين..

- خلاااص خلاص مستنياكي.. بس عالأقل قوليلي إنتي فين.

- خلاص انا داخلة الشارع أهوه هطلع أحكيلك.

***

صرخت "رنا" :

- تاني!!!!!!

- إهدي بس، هفهمك.

بغضب قالت:

- إتفضلي!

و أخذت "نور" تحكي "لرنا" ما حدث فقالت الأخيرة:

- و إيه اللي يخليكي تقوليلهم أنك أنا، إفرض حد..

- كملي.. عصبني صح!

- يا نونة مش قصدي، أنا بس اقصـ...

- أنا فاهمة يا رنا، فاهمة أنا إيه و عندي إيه و إيه اللي بيحصـــل.. أنا برة الحالة دي أو دي ببقي بني آدمة طبيعية و بعقلي، و أنا بحاول..

نبتت قطرات الدموع في مقلتيها و إحمرت عينها و أكملت بصوت متقطع:

- بحاول أكون طبيعية و أتحكم.. بحاول مكونش خطر على كل اللي حواليا.. بحـــــــــــ.. بحاول..بحاول مسببلكيش مشاكل في كل حتة..بحاول مخسركيش حياتك و صحابك و شبابك و ...

أجهشت بالبكاء و ما كان في يد "رنا" إلا أن تقرب منها و تأخذها في أحضانها و تربت على كتفها , تحاول مواســاتها بكل الطرق و قد نجحت "نور" _بســبب الكحول_ في أن تهدأ و تنام دون أن تســبب المشــاكل كالمعتاد مما أثار شك "رنا" التي ما أن تأكدت من سباتها العميق حتى أسرعت تبحث في كل مكان، و تفتش في كل سنتيمتر في المنزل دون جدوى.. فأتجهت لحامل الأطباق في المطبخ و أخذت في شم الأكواب كلها بحثاً عن كوب غُســـل بإهمال لكن دون جدوى.. حســـناً فهي في أمان إذا..عادت لتجلس بجانب أختها التي تتململ بسبب أحلاماً مزعجة سببها كأسين من الكحول الـــــ45%..بينما أمسكت "رنا" هاتفها و فتحت أحد تطبيقات التواصل الإجتماعي الشهيرة و أخذت تقلب بدون هدف محدد حتى توقفت عند أحد المنشورات و قد غزت الصدمة ملامح وجهها و إحتبست الدموع في مقلتيها و بسرعة إتجهت لرقمه و أجرت إتصال به على الفور، تعالى صوت الرنين لبرهة مرت ثقيلة ككابوس قبل أن ينفتح الخط فصرخت:

- بلال إنت كويس؟؟؟ بلال ... رد عليا.. في كلام غريب مكتوب عنك في الأكونت و ناس بتواسي و ناس بـــ... بلال إنت مبتردش ليه؟ بلال رد عليا....

صمتت و إنتبهت لتسمع من الجهة الأخرى صوت بكاء متعدد.. صرخت صرخة مدوية جعلت "نور" تقفز فزعة من نومها و تسألها عما حدث فأجهشت "رنا" بالبكاء فإحتضنتها أختها في موقف تكرر منذ نصف ساعة لكن تم تبادل الأدوار.. الأخت هي الأخت مهما كانت تحمل من مشاكل خاصة.. كدليل إتهام... !

***

وضـــع فنجان القهوة على المكتب بعد أن تجرعه حتى الثفل، إلتقطت الملف و فتحه مرة أخرى، شـــئ ما يقول له أن التؤامتان خلفهما أمراً مريب.. لا يعلم هل لهن علاقة بالجريمة أم هو حدثه البوليســـي.. أم فقط

مجرد هاجس، قرأ رئيس النيابة "أحمد عبد الحي" الملف الجنائي و تقرير االمباحث و تقرير الطب الشرعي مرة أخرى حتى كاد يحفظه عن ظهر قلب، أمسك بهاتفه و نقر عدة نقرات فأستدعى مكالمة:

- سليم باشا مساء الفل.. الحمد لله يا باشا.. أهوه حسك معانا.. اة بصراحة طمعان في خدمة.. لو تسمح يعني.. بنتين توأم ساكنين جديد... غالباً كانوا في التجمع.. نور و رنا هشام مغاوري.. حضرتك تعرفهم.. لا مجرد إحساس.. لو تحب أوقف هوقف.. مفهوم يا باشا.. أوامر يا باشا.. مين نور و رنا دول أصلاً؟.. حصل يا فندم.. مع ألف سلامة.

أغلق المكالمة و هو يزفر في حنق قائلاً:

- بنات الشهيد...

حاول طردهم من ذهنه لكن كلما شُـغِل عقله بدليل ما يجد نفسه في منتصف التفكير فيهن مجدداً دون حتى أن يشعر، مازال ذهنه يعصف و يحلل و يقارن و يفترض حتى زاد صداع رأسه، هو لن يكذب حدثه، لكن ماذا يفعل! لقد تلقى أمر! يجب أن يجمع شتات أفكاره، يجب أن يلملم بقايا المنطق المحيط بالتؤام، هز رأسه عائداً من شروده ثم ضغط زر على المكتب فدخل الساعي بعد دقائق:

- شيل يابني الحاجة دي وهاتلي قهوة تاني.

رفع الساعي الأكواب و رحل في صمت بينما نهض رئيس النيابة و وقف أمام النافذة يلتقط بعض الهواء المحمل بالعوادم و دخام السجائر، أغلق النافذة و أخذ يدور في غرفته باحثاً عما سقط من رأسه حتى طُرِق الباب و دخل الساعي و ترك الأكواب..

- تؤمر بحاجة تاني يا باشا.

جلس رئيس النيابة وهو يشعل لفافة تبغه بيد و بالأخرى يشير بيده للساعي أن إرحل

و نفس دخان سيجارته ثم تناول الفنجان و رشف رشفة إقشعر بدنه على أثر المذاق القوي لطبقة البن العلوية.. وضع الفنجان و إلتقط هاتفه مجرياً إتصال..

- ألو... إيه يا طارق.. عايز منك خدمة..حبيبي... بس بص الأول... دي مش رسمية... مش عايز حد يعرف بيها

***

بكاء.. نحيب.. بنات ونساء متشحات بالسواد.. صوت سورة البقرة بصوت الشيخ أحمد الطبلاوي.. فتاتان إحداهن تبكي بحسرة على كتف الأخرى التي إقتصر حزنها على ملامح شفقة على تؤأمتها.. مر حوالي ساعة و بضع دقائق كانت كافية لجفاف دموع "رنا" و هدوئها قليلاً.. أخبرتها "نور" بشئ فهزت رأسها و نهضن متجهات إلى والدة بلال و أخته و عزينهن ثم في هدوء غادرن المكان..

فتحت "نور" باب الشقة و دفلت للداخل و خلفها " رنا" التي ظهر على وجهها الإعياء الشديد، سقط جسدهن الهزيل على الأريكة في إرهاق و زفرت "نور" بقوة و خيم الصمت بعدها عدة دقائق...

إســتيقظت "نور" لتجد نفســها غفت دون أن تشــعر على الأريكة و غفت "رنا" بجانبها، ما إن تأكدت من سُـبات "رنا" تسـللت إلى المطبخ و أخرجت ما تخفيه، صَـبّتَ.. تجرعت.. أخفت.. و وضـعت يدها بالكوب أســفل الصــنبور لتخفي ما تبقى من آثار.. وضــعت الكوب بحرص في حاملة الأطباق وإلتفتت لتجد "رنا" مستندة بكتفها على الحائط و شبح إبتسامة على وجهها...

***

أغلق "أحمد" المكالمة و هتك دواسة البنزين، صرخت إطارات السيارة أسفل مبنى النيابة و إنطلق كالسهم إلى مكتبه الذي ما إن دخله حتى إلتقط ملفاً أزرق من فوقه و عاد إلى ســيارته بســرعة و إنطلق لإحدى عيادات الولادة و هو ممسـكاً بالملف، توقف لاهثاً أمام إحدى الغرف المغلقة و ما إن خرجت ممرضــة هرع يســألها عن حالة زوجته فأخبرته أنه لم يحن الوقت بعد، تنفس الصــعداء و طرق الباب و دلف للداخل، يبدو أن الغرف مصممة لعزل الصوت فهو لم يسمع هذا الصراخ بالخارج، نظر إلى زوجته التي تتلوى صارخة من آلام الولادة و وجهها المتعرق الذي يظهر عليه الإعياء، شفتيها البيضـاء و سواد أسفل العينين و العرق الغزير، برغم كل هذا كانت جميلة، إبتسم عندما فكر في هذا.. إلتفتت إليه بين صراخها و مدت يدها بإتجاهه تستنجده، عيناها تتوسل إليه ليفعل شـئ ما.. أسرع ليقف بجانب فراشـها ليمسك بيدها ليجد أن يدها تعتصـر يده و قد كساها العرق.. ضم كتفها له و قَبّل رأسها قبل أن تفلت دمعة ساخنة منه، لماذا فعل هذا بها؟ تكفيه هي.. لا يريد أبناء إن كان حضـــورهم يؤلمها، هو يحبها هي فقط.. فليذهب أبنائه إلى الجحيم.. هو لا يريد أبناء.. بدون وعي صرخ في الطبيب:

- كفاية...

- كفاية إيه يا فندم!

- مش عايزين عيال.. رجع البيبي دة.

- نعم...

صرخ بقوة:

- بقولك رجع البيبي مش عايزينه...

لم يعره الطبيب إنتباهه و ظل يكمل ما شرع فيه ليجده أمسك بكتفه قائلاً:

- أنا رئيس نيابة و لومسيبتهاش دلوقتي هقفلك العيادة و هحبسك و هطلع...

- لا لا لا كفايا كدة... لو سمحت إستنى برة

- إنت بتطردني يا..

- برااااااااااا.

بعد صـياح الطبيب وصـراخ الزوجة و توسـل الممرضـات إتجه "أحمد" للباب وقبل أن يخرج نظر لزوجته التي تتألم ونظر للطبيب و شعر بالغيرة تحرق قلبه فسارع من خطواته و صفع الباب خلفه ليصمت كل شئ دفعة واحدة...

دقائق مرت كدهر و هو يجلس منتظر أن ينفرج البـاب.. أكلـه القلق و النـدم و الخوف.. و قتلتـه الغيرة، ليسـت زوجته التي بالداخل بل إبنته.. كيف لأحد أن يمس صـغيرته حتى إن كان طبيباً.. هب واقفاً و كاد أن يقتحم الغرفة مرة أخرى لكنه تراجع.. عاد صـامتاً و جلس منتظراً و دقات عقارب سـاعته الباهظة تأكل في قلبه.. لمح الملف الذي إنتزعه من المكتب، أمسكه و فتحه و أخذ يقرأ..

- رنا هشام مغاوري...

***

- بتعملي إيه؟

قالتها "رنا" بخبث حاولت إخفائه لترد عليها "نور" بثبات:

- بشرب ماية.

- و هو اللي يشرب ماية بيغسل الكوباية وراه؟

- لا اسيبهالك مكان ما شربت بميكروباتها...

ثبات "نور" لجلج ثقة "رنا" مما جعلها ترتبك فأتجهت لها و أمسـكت بالكوب وملأته بالمياة و تجرعت المياة حتى تلتقط أنفها أثر الكحول الذي حتماً لم يختفي أثره بهذه السرعة لكن... لا شئ..

حاولت معالجة الموقف قائلة:

- أهوه شربت مكانك يا نينو و لو عرفت إني ممكن أموت بسبب اي مرض لو شربت مكانك...

ملأت الكوب مجدداً و تجرعته ثم قالت:

- برضه هشرب.

فإبتسمت "نور" و قالت بمرح:

- هابلة و هتضيعينا.

فتعالت ضحكاتهن و وقفت "رنا" تعد أكواب النسيكافيه و بعض دقائق خرجن من المطبخ وسط ضحكاتهن و جلسن على أريكتن، قطعت "نور" صدى الضحكات بسؤال أختها:

- هو إيه اللي يخلي واحد زي بلال ينتحر؟!

***

فغر فم " أحمد" و إتسعت حدقتيه إثر ما قرأ، الآن فهم.. حدثه لم يخيب أبداً، "نور" هي القاتلة بكل تأكيد... كل ما تم ذكره يثبت بأنها هي بلا أدنى شـك، لكن لا يوجد دليل قاطع يدعم وجهة نظره.. و بكل تأكيد رئيس

المباحث ســـيصـــمت بالأمر كما تم أجباره على وئد التحريات.. هو رئيس نيابة و أُصـــدِر له أمر لا يمكن عصـــيانه، فهل يســـتطيع مجرد رئيس مباحث أن يخالف التعليمات.. لكنه بالتأكيد لن يغض الترف عن هذه المجنونة، أخرج هاتفه و جرت أصـابعه على شـاشـته الزجاجية ليسـتدعي إتصـالاً، مرت ثوان رتيبة قبل أن يقول:

- أيه يا طارق.. معلش بتقل عليك... العقيد هشـــام مغاوري كل اللي ممكن تعرفه عنه يكون على مكتبي بكرة الصبح.. برضه غير رسمي.. بكرة الصبح يا طارق.. مع السلامة.

أغلق المكالمة و شرع في إشعال لفافة تبغه لتصيح إحدى العاملات:

- ممنوع التدخين هنا لو سمحت لو عاوز تدخن إطلع دخن برة.

حسناً سوف يلكمها لكمة تجعلها تبتلع أسنانها ناصـعة البياض تلك، بل سيخرج سلاحه و يحشره في فمها و يجعلها تدخن دخانه بعد خروج طلقة منه تخترق حنجرتها، لا بل سيقوم بنشـــــــ... ما هذا؟ الجدران عازلة للصوت لدرجة أنه لم يسمع صرخات زوجته الصاخبة لكنه يقسم أنه يسمع بكاء طفل يخترق الباب و يصل إلى أذنه بوضـــوح.. هل خيل له! و هل يترك المجال لإحتمالات.. إخترق الغرفة ليجد أن صـــراخ زوجته قد سكن و تعالت صرخات طفلته.. وجد الممرضات تلتف حول شئ ما و يحركن أيديهن، بصر زوجته ليجدها تبتسم بتعب و إرهاق لم يتمنى يوم أن يراها به.. أسرع إليها و قبل يدها عدة مرات و قَبّل رأسها و إحتضن بيده كتفها فسمع صوتها تئن فأعتذر منها:

- طمنيني عليكي يا حبيبتي.

قالها محاولاً كبح جناح عينيه أن تفيض من الدموع أمام أعين صغيرتيه، قالت زوجته بتعب:

- طب إطمن على أسيل الأول..

- ششش... إنتي الأول... و بعدين ست أسيل قالبة الدنيا أهيه.

- دي بتزعقلك يا أستاذ عشان سبتها و روحت لماما.

- ماما.. و بابا...!

و أجبرته دموعه على تحريرها من سجنها بداخل عينيه.. قَبّلَ خدها و يدها و رأسها و كفها و أحتضنها كما لم يحتضنها من قبل.. و قبل يدها مرة أخرى و لم يفصله عن حبيبته سوى صوت نداء الممرضة له، إلتفت إليها ليجدها تمد يدها بطفلته.. أسيل.. التي طال إنتظارها مذ كان يحب زوجته سراً.. أسيل التي جعلته يقوم بغسـل المواعين و القيام بجميع الأعمال المنزلية لمدة سـبعة أشـهر تطوعاً منه و خوفاً عليها رغم غضـب أمها منه كثيراً لهذا.. أسيل التي كان يتخيل شكلها هو و زوجته سنين كثيرة.. ها هي ذا.. أجمل مما تخيل.. فاقت ســـعادته عندما وجدها تحمل ملامح أمها.. قد فاز عليها في هذا و حُقِق ما تمناه هو.. قَبّلَ خدها و من بين دموعه قال مازحاً:

- بقى يا بت إنتي تعملي في حبيبتي كل دة.

***

ظلت تضـحك "رنا" يصـوت مرتفع جداً هز أركانها و أركان المنزل على كلام "نور" مما جعل "نور" تغمرها السعادة لأنها أحدثت ذلك التأثير لـــ"رنا" خصوصاً بعد هذا اليوم الحزين.. ظللن لساعات يمزحن و يضحكن و يتعالى صوتهن و صراخهن المَرِح حتى إنتهى يومهن و إتجهت كل منهن لغرفتها.. دخلت "نور" و ألقت بجسدها على فراشها الناعم و في ثوان ذهبت في سُبات عميق، بينما عيون

أخرى حاولت النوم مراراً و لم تسـتطع.. ظلت "رنا" تتقلب في فراشـها و تعبث في هاتفها و تدفن رأسـها أسـفل وسـادتها و تنظر لسـقف غرفتها بدون جدوى.. قامت و فتحت الدولاب و وقفت أمامه تنتقي بضـع فساتينها و من ثم أخذت تبدل بينهن و تلتقط بكل فستان عدة صور ثم تعيده لمكانه.. أنهت فساتينها و إنتقلت لباقي ملابسـها حتى إلتقطت عدة صـورلنفسـها بجميع ملابسـها.. ألقت بجسـدها مجدداً تحاول النوم بلا أي جدوى.. دفنت نفسها في حوض الإستحمام بعد نصف ساعة من التأمل في سقف غرفتها بلا جدوى.. جففت نفسـها و مشـطت شـعرها و مرة أخرى تحاول أن تغفو بدون أي جدوى.. فتحت الثلاجة و حملت ما يمكن حمله من طعام و جلست تأكل..و تأكل و تأكل و تأكل و تأكل كمشردة وجدت وجبات مجانية، آلمتها معدتها من فرط الأكل لكنها مازالت جائعة.. توجهت للمطبخ و أعدت وجبة دسـمة تكفي أسـرة صـغيرة و جلسـت تنهشـها بنهم شـديد حتى شـعرت بإعياء.. توجهت لفراشـها و دثّرت نفسـها و أخفت وجهها أسفل وسادتها و ذهبت...

صـوت شئ يضـرب شئ.. شئ ما يصـتدم مرات عِدة بشـئ أخر.. فتحت عينيها دفعة واحدة فعاقبها ضـوء الغرفة و ثقب عينيها مما جعلها تسرع في إغلاقهم.. فتحهم مرة أخرى ببطء لتعتاد عينيها هذا الضوء و يفهم عقلها ما هذا الصوت لتتفاجأ بـــــــ"نور" تضرب رأسها في حائط غرفتها و تلطم وجهها و تنزع شعرها و تبكي بحرقة.. وثبت " رنا" من فراشها و أمسكت بأختها تحاول منعها من هذا الجنون و تحاول فهم السبب.. بعد حوالي ثلثي ساعة من التهدئة و المحايلة و المداداه سكنت "نور" لتسألها " رنا مجدداً عن سبب كل هذا فقالت "نور" من بين دموعها:

- جعانة و مفيش أي أكل...!

***

الآن كل شئ منطقي، كل ما حدث له سبب واضح الآن.. لكن للأسف بلا أي دليل و إلى الآن هي مجرد إجتهاد شـخصـي لا صـحة له.. يجب أن يجد دليلاً ما.. نهض "أحمد" من مكتبه و أشـعل أخر لفافة تبغ في حوزته و مص منها نفساً عميقاً جعله يسعل بشدة، شارد الذهن تماماً حتى لدرجة أنه لم ينتبه للساعي الذي ظل ينادي بإسـمه حتى مل و غادر.. ظل يتابع بعينيه السـيارات البعيدة على أحد الكباري المواجهة لشـرفة مكتبه، تَفُل سيجارته بألم حين وصلت الشعلة إلى أقرب من المفترض فلسعته بلسانه، إلتفت ليجد كوب ماء كبير على المكتب بجانب فنجان قهوته فتجرعه دفعة واحدة و جلس إلى مكتبه.. أمســـك بأحد الملفات و قال بشرود:

- إضطراب ثنائي...!

***

هرعت "نور" إلى الباب و من خلفها "رنا" فهذا ليس طرقاً عادياً، أحدهم سيقتحم شقتهم خلال ثوان:

- مين؟

قالتها نور ليرد عليها صوت ثابت غليظ:

- بوليس.

بهمس و فزع قالت "نور" لـ"رنا":

- ينهارأسود و دة لما يسأل عن واحدة فينا هنبدل و أطلع مزورة ولا نقول بجد....

- خليها على الله.. إفتحي.

فتحت " نور" الباب و بإبتسامة ساحرة قابلت خمس من رجال الشرطة لتقول:

- خير يا فندم.. أقدر أساعد حضرتك بحاجة؟

تقدم رئيس المباحث و قال لـ"نور" كأنها "رنا":

- لو سمحتي يا أستاذة رنا أحنا مش جايين عشان خاطرك.. إحنا معانا أمر بالقبض على نور...

- بس أنا نور...

قالتها "نور" فضـربت "رنا" وجهها بكفها و هي لا تعرف هل تعارض أختها أم تصـدق على كلامها فهي لا تعلم هل ذلك سيساعدها أم يزيد من سوء موقفها فقال رئيس المباحث:

- أنا مقدر يا رنا إنك عايزة تحمي أختك.. بس أمر الضبط طالع بإسم نور هشام مغاوري..

- طب ثانية واحدة بس.

بهدوء دخلت "نور" إحدى الغرف و لم تســمع ما تحدث به الضـــابط مع "رنا" و لم تهتم، خرجت فوجدت عسكريان ممسكان بذراعي "رنا" فقالت لهم:

- سيبوها قولتلكوا أنا نور.

و مدت يدها لرئيس المباحث بطاقتان تحقيق شخصية الذي إلتقتهم و قرأ ما بهم و قال:

- كمان! سيب يابني دي و هات دي.

و دون إنتظار غادر الشـــقة و تبعه البقية وســـط صـــراخ و نحيب "رنا" التي منذ بداية الموقف و هيتقف عاجزة.. هرعت ترتدي ملابس مناسبة و هي تجري إتصالاً بـ"محروس" المحامي و ما إن إنفتحت المكالمة صرخت:

- إلحق نور يا أونكل..

- تاني!

- لا يا أونكل دي نيابة... متهمة بالقتل!!

***

(3)

ها هي ذي أمامه بشحمها و لحمها.. لقد ظن أنها ستبدو كشحاذة أو متشردة كما يخيل لنا كل المجانين.. ظن أنها ستهذي و تقول كلاماً لا أطراف له و لا قواعد.. لكن ها هي.. جميلة جداً...

- إسمك؟

- أظن حضرتك عارفه كويس.

- في حاجات كتير أنا عارفها لكن دة ملوش علاقة بأسئلتي.. إحنا هنا بناخد أقولك.

- مفهوم.

ظل جامداً يسألها وتجيب برصانة و حكمة مما زاد شكه و حان وقت سؤال مباغت..

- إيه علاقتك بمحمود مكاوي السيد؟

- الحقيقة أنا معرفش مين محمود مكاوي السيد دة!

- طيب، محمود مكاوي السيد هو جارك في شقة من شقق الدور اللي تحتكوا.. خليني أسألك تاني.. إيه علاقتك بمحمود مكاوي السيد؟

- أظن إني جاوبت.

- يعني بتنكري معرفتك بيه.

- أنا مش بنكر، أنا فعلاً معرفوش.

- طب إيه علاقتك برانيا عمرو محمود؟

- رانيا كانت جارتي في بيتنا القديم.

- تنكري إنك إعتديتي عليها بضربها على راسها بصندوق سيجار خشب.

نظرت "نور" لـ"محروس" الذي باغت "أحمد" على الفور بسؤال إستحقه:

- لو سمحت يا فندم ممكن أعرف إيه علاقة الموضوع دة بالقضية؟

نظر "أحمد" لعينيها نظرة ثاقبة و ظل محملقاً بهما في ثبات و هو يقول:

- رانيا عمرو، فارس الربيعي، محمد يونس، دكتورة آية عبد الرحمن ، و غيرهم... كلهم تم الإعتداء عليهم بشكل عنيف من أستاذة نور.

قال "محروس" مقاطعاً:

- أيوة يا فندم بس كلهم إتنازلوا و الموضوع إتحل ودي، و بعدين برضه إيه علاقة كل دول بالقضية؟

نظر له "أحمد" نظرة تحمل إبتسامة ساخرة و قال مستنكراً:

- معقول محامي كبير زي يحضرتك لسة مفهمش، شكل حضرتك ملحقتش تقرا ورق القضية.

- أنا مش شايف أي داعي للأستهزاء اللي في صيغة كلام حضرتك و أظن إن حقي كدفاع أستاذة نور إني أفهم.

إرتبك "أحمد" من صـــرامة المحامي في الحديث، هو يعرف أن القانون لا يتيح له فعل مثل هذه الأشـــياء واللعب بأعصاب المتهم بل توجيه أسئلة مباشرة تخلو من الغموض و لا تحمل إلا معنى واحد صريح، لكنه يعلم دهاء هذا المدعو "محروس" و يعلم أنه إن لم يلعب بأعصاب هذه الـــ"نور" فسترحل بعد دقائق و ربما إلى الأبد و ستكون حرة طليقة تهدد حياة كل من يراها، حسناً هو لن يخاطر هذه المرة:

- القتيل إتقتل بضربات على دماغه بشئ صلب.. الأقرب إنه تمثال خشب من التحف اللي بتكون في البيت، عايش لواحده و مفيش حد بيزوره.. شـهادة البواب و الكاميرات اللي في مدخل البيت محدش دخل ولا خرج الكام ســـاعة اللي قبل وبعد ميعاد الجريمة و دة يأكد إن اللي قام بالجريمة واحد من الســـكان.. نظراً لتاريخ أستاذة نور هي قامت بإعتداءات كتير من نوع الضرب بآلة حادة أو صلبة و نظراً لأنها كانت الوقت دة في البيت.. و نظراً لأن الشـــاهدة الوحيدة على وجودها هي أختها اللي من الطبيعي تداري عنها زي ما هي إنتحلت شخصية أختها عشان تحميها.. كل دة يخليها مشتبه فيها.. بل في أعلى قايمة المشتبه فيهم.

- الدافع و سلاح الجريمة!

- نوبة من نوبات الإضـطراب صـابتها و محدش كان موجود عشـان يحوشـها أو يهديها زي كل مرة.. و سلاح الجريمة ممكن يكون محطوط بيزين أوضتها أو في أي يوم تاني خرجت و إتخلصت منه.

- أنا اسف يا فندم بس إيه اللي ممكن يخلي أنسة نور تكون موجودة في شقة القتيل أصلاً!

نظر لها "أحمد" و قال مبتسماً:

- دة بقى اللي لازم أستاذة نور تفهمهولنا!

قالت "نور" بثقة:

- كل اللي حضـرتك بتقوله دة مظبوط.. أنا فعلاً أكتر من مرة أفقد أعصـابي و أتسـبب في كارثة بس ولا مرة وصـلت للقتل و بعدين سـاعتها مبقدرش أتحكم في صـوتي و بصـرخ بصـوت عالي جداً لو كان حصـل سـاعتها كانت العمارة كلها إتلمت و لحقوه و دي في عليها شـهود كتير و ممكن تتأكد بنفسك الأهم من كل دة يا فندم هو إن في سجل كاميرات الأسانسير ممكن تتأكد منه إني عمري ما نزلت الدور التالت من ساعة ما

سـكنت اللي هو حوالي شـهر يعني ملحقتش كمان أتعرف على حد، و زي ما حضـرتك بتقول محمود دة عايش لواحده فمسـتحيل هثق فيه لا جوة بيته ولا برة و مش عشـان إتقتل بضـرب على دماغه يبقى أنا، و بعدين لو زي ما حضـرتك بتقول يبقى أكيد بصـماتي مغرقة البيت أكيد لو أنا في (نوبة إضـطراب) زي ما حضرتك قولت مش هركز أمسح البصمات و برضه لو حضرتك فاهم كويس نوع (نوبة الإضطراب) اللي عندي كنت فهمت إني لو قتلت حد في (نوبة إضطراب) الحالة هتزيد و مش بعيد أموت نفسي بعدها، نظرية حضرتك تكاد تصيب و أنا أسفة لو هدتهالك شكل حضرتك تعبت أوي على ما وصلت للإستنتاج دة.

تعمدت أن تضغط على حروف (نوبة إضطراب) في كل مرة و تعمدت في آخر جملة أن تستفزه إلى أقصى درجة أما عنه فظهر ثابتاً رغم أن إعتلاه الغضـــب و إحترق دمه، هي محقة في كل كلمة و هو يعرف كل هذا سابقاً، لا ينكر أنها أضافت لدفاعها بعض المعلومات التي غابت عنه لكن هذا لم يشغل رأسه كثيراً، ما شغل رأسه حقاً هو براعتها، هي بارعة في الدفاع.. تفهم كل كلمة و تستوعب كل ما قيل، ربما هي سريعة الإلقاء فقط.. فقد قذفت بوابل من القذائف في وجهه مما خرس لسـانه للحظات.. لكنها على دراية كاملة بمرضها، أليس أول و أهم خطوات العلاج هو الإعتراف بالمرض!

خرج "محروس" عن صمته قائلاً

- يا فندم أكيد حضـرتك عارف هي بنت مين، هشـام باشـا الله يرحمه قدم كتير لمصـر و ضـحى كتير و إستشهد فدا البلد و رباهم عالإنضباط و إحترام القانون و التضـ...

- و هو لو في إحترام للقانون كنتوا أقنعتوا ضحايا الأستاذة إنهم يتنازلوا.. و الله أعلم دة تم بأنهي وسيلة.

صاحت "نور":

- أنا مسمحلكش...

قاطعها " محروس" مهدئاً لها و قائلاً:

- يا فندم كلام حضرتك دي في إتهام خطير و أنا ممكن أطالب بثبوت كلامك في المحضر.

- أة بتهددني يعني.

- لا سمح الله يا فندم، أنا بس مقبلش إتهام زي دة.

- طب يا سيدي أقبل إعتذاري، بس في نقطة تانية..

و أشار لكاتب المحضر أن يوقف عن الكتابة و نظر لنور قائلاً:

- مقدم... كان مسئول عن قضـايا مهمة و أثبت جدارة و حصـل على أكتر من ترقية بسـرعة... بس كان عصبي.. عصبي لدرجة خطيرة.. لدرجة إن عصبيته دي إتسببت في ضياع دليل مهم في أهم قضية مسكها و كانت أهم قضـية في الوطن العربي سـاعتها... قضـية وفاة الفنانة سـعاد حسـني.. و بسـبب كدة لحد دلوقتي محدش يعرف دة إنتحار ولا قتل، و بعدها المقدم اللي إترقى كتير دة و بسبب عصبيته وقفت كذا ترقية ليه و إترفع عليه كذا قضـية.. حتى بعد وفاة مراته كان في شـك من بعض الناس إنه قتلها.. و تعدي الأيام و ييجي اليوم اللي يرمي بجسـمه قدام عربية مفخخة فتاخده و بوووم... تفرقعه و تحوله لأشـلاء صـغيرة... و أنا بصراحة مظنش إنه كان قاصد بكدة إنه ينقذ باقي الزملا لا سمح الله.. و معرفش إيه اللي نزله الكمين برغم

إن واحد في رتبته كان المفروض يكون في غرفة العمليات في الوزارة، و ســـبحان الله زي ما تقول ربنا بيردهاله.. إنت رأيك إيه؟ دة إستشهد.. ولا إنتحر..!

صرخت "نور":

- كفاياااااااااه.

و أمسكت بحامل الأقلام المعدني وألقته على رئيس النيابة فتفاداه و إبتسم بخبث و قد نجحت خطته فهو يعلم وقع كل كلمة على عقل "نور" المضطرب، صاح "محروس":

- أنا مسمحش لحضرتك تقول كله دة و بطالب حضرتك تلتزم حدود شغلك و بطالب كاتب المحضر يثبت كل اللي إنت قولته في محضـــر النيابة و عايز من حضـــرتك توضـــيح دلوقتي حالاً إيه علاقة كل الكلام دة بالقضية يا أما هتخذ ضد حضرتك كل الإجراءات القانونية، مفيش حد فوق القانون حتى لو رئيس نيابة..

وضع "أحمد" يده أسفل ذقنه و نظر لمحروس نظرة بلهاء ثم قال:

- هو إيه اللي حصل؟

و أشار للكاتب أن يكمل كتابته قائلاً:

- صـــرخت المتهمة و أمســـكت بحامل الأقلام من على المكتب و ألقته في وجهي، مما يثبت أن المتهمة خطراً على الأمن القومي..

صاح "محروس":

- إيه يابني اللي بتقوله دة، دة تلفيق..

ليكمل "أحمد":

- و أمرنا نحن.. أحمد عبد الحي خطاب.. رئيس نيابة 6 أكتوبر، بتحويل المتهمة لمســـتشـــفى الأمراض النفسية و العصبية.. للكشف على حالتها الصحية، و عودتها بعد مدة خمسة عشر يوماً للمثول أمامناً بعد إصدار التقرير.

لتصيح "نور" ويصيح "محروس" قائلاً:

- إيه المهزلة دي، أنا مش هسكت.. إنت رجل قانون و هنا عشان تطبقه..

ليقول "أحمد" مقاطعاً:

- إنت عارف إن دة أحسن بالنسبالها.. أنا كدة بحميها قبل ما أحمي الناس منها..

- إنت فاسد و أنا هعرف أجيب حقها و حق القانون منك و بالقانون.. أنا..

أكمل بثقة و هدوء أعصاب مستفز:

- كما أمرنا نحن بحجز الأستاذ محروس عبد القادر عطية يومان لإعتدائه لفظياً على ممثلي النائب العام.

***

لن تستطيع أحتمال هذا الطنين في أذنها اليسرى أكثر من ذلك، أشعة الشمس الحارقة تخترق حدقتيها و هي لا تملك القدرة حتى على إغماضهما، آلام خفيفة تغمر جسدها و رعشة لا إرادية مستفزة فوق شفتها العلوية تزيدها غضباً، احدهم أمسك ذراعها و جذبه ثم أخر أمسك بذراعها الآخر و سحبوها، قدماها لا تحملاها.. الآن هم يجرونها و قدماها تزحف على الأرض في حالة إستسلام تام.. عبرت حوالي أربعة أبواب.. أو ربما ثلاثة.. إلتقطت أنفها رائحة عطنة و بضع روائح سيئة كقبر، رأسها تهتز بإهتزاز جسدها فهي لا تملك أي عصب نشط يمكنها من تحريك أي خلية في جسدها، أخر ما تتذكره إنتظارها حتى جاء هذا الـــ.. أياً كان من هو، و لف حول معصمها شئ ما آلمها بشدة و غرس في وريدها محقن وما إن أفرغ محتوياتها يدها أحرقتها بشدة كأنه حقنها بماء من مُهن .. ثم لاشئ..

فُتح باب أخر و جُرت "نور" للداخل.. ما إن تخطت الباب علمت رغم شرود عينيها و ذهنها أن هذه الغرفة الواسعة ذات الأسِرّة هي مصدر الروائح التي تشبه دورة مياة مترو محطة المرج - قبل تجديد المحطة –، جميع الأعين ترمقها و تراقبها، نسوة متسربلات بخيش مَسح الأرضيات إن كانت تُمسَح، الأمر كله أشبه بعنبر حقل تجارب روسي في الحرب العالمية الأولى، قُذِفت على فراش إتخذته الأتربة و الميكروبات مأوى لها فســـعلت "نور" بقوة إثر تطاير الأتربة حول الفراش.. خرج من نقلوها إلى هذا القبر و إغلق الباب.. و غفت نور.

***

(4)

أفلت الطبيب يد ضيفه بعد مصافحة و تهنئة و مجاملات طالت، يبدو "فارس" سعيداً لزواجه بأخرى على زوجته "مروة" على ما يظن.. حسناً، فليهنأ "سعيد بسعيدة" حتى تكتشف هذه الـ"مروة" أمرهم، هذا ما كان يدور في رأس دكتور "يوسف الخطيب" و هو يمد يده لكوب الشاي الثقيل الذي لم يتبقى منه سوى رشفتين سرعان ما قذف بهما في حلقه ليسلكوا المرئ وصولاً لمعدة لا ترحم، وضع الكوب و نادى على الساعي الذي دخل و رفع كوب الشاي و كوب الماء النصف ممتلئ و كوب الشاي الأخضر الفارغ في حاملة الأكواب و غادر دون أن يتحدث أو يرفع عينه، سحب "يوسف" ملف يعلو صفأ مرتباً بإتقان من الملفات و الأوراق المرصوصة المنظمة على مكتبه المهترئ، ما إن لمح صورة الفتاة المرفقة حتى أطلق صافرة إعجاب، قرأ إسمها و أخذ يقرأ في ملفها ببطء شديد.. عند نقطة ما ترك الملف و أمسك بعلبة سجائر ماركة ديفيدوف أبيض و أمسك لفافة تبغ بين إصبعيه و سحبها بطريقة مبالغ فيها و وضعها بين شفتيه، وضع علبة السجائر في موضعها على المكتب و أمسك بقداحة معدنية فاخرة ذهبية اللون و أشعلها و غمس طرف سيجارته في لهيبها حتى تصاعد الدخان الرمادي، أغلق قداحته و وضعها على المكتب ثم عدل موضعها و سحب نفساً كبيراً مغمضاً عينيه بإستمتاع و نفس دخاناً رمادياً زكي الرائحة على عكس بقية السجائر، وضع سيجارته بداخل منفضة السجائر و أمسك بالملف مجدداً و عاد يقرأ من جديد بتركيز.. قرأ الملف بالكامل ثم قال بحماس شابه الغرور:

. Interesting -

أخرج من أحد الأدراج ورقة بيضاء و من جيب قميصه الكحلي سحب قلماً معدنياً فاخراً و بدأ يدون ملاحظاته الأولية، تسلل إلى أذنه صراخ.. صياح..أقدام كثيرة تركض.. أزيز بوابة معدنية يفتح.. و إنفرج باب غرفته فجأة ليفزع مكانه و إذ بأحد الممرضين يهرع إليه قائلاً:

- إلحق الحالة الجديدة يا دكتور...

***

كل شئ متحطم، لا شئ بالمكان يصلح للإستخدام ولا حتى إعادة التدوير،أصبحت الشقة الفاخرة علبة قمامة كبيرة، و الباب يطرقه ألف يد فزعة أو فضولية، "رنا" فوق الأنقاض ملقاه على ظهرها تبكي و تبكي وتبكي مر ساعتين إلا عدة دقائق و هي في هذا الوضع.. تحاملت على صراخ عظامها و عقاب عضلاتها و نهضت مستندة إلى ما يمكنه إحتمالها من الأنقاض.. نظرت للشقة فوجدتها لا تصلح للإستخدام. إلتقطت أذنها نغمة هاتفها فبحثت عنه بإرهاق.. تسكت النغمة ثم تئن مجدداً حتى وجدته "رنا" أسفل ما تبقى من شاشة العرض الملقاة على وجهها على حُطام الإثاث.. من شاشتها المكسورة رأت إسم محروس يقطعه شرخاً كبير.. عدة محاولات لضغط على أمر الرد لكنه أبى.. حاولت مراراً و أخيراً فُتحت المكالمة، وضعت المسكين على أذنها دون أن تتحدث فتحدث هو بصوت محروس:

- رنا، إمسكي نفسك كدة عشان نور هتحتاجلك، إلبسي و قابليني في المكتب دلوقتي.. خالد إبني في العربية تحت البيت مستنيكي.. عشان خاطر نور... مستنيكي.

ألقت "رنا" الهاتف بصيحة غاضبة ثم إنهارت في البكاء.. مر وقت ليس بالقليل.. تحاملت على نفسها مجدداً بعد أن زاد ألمها، توجهت لدورة المياة و دفنت نفسها في حوض الأستحمام الفارغ من المياة بعد أن نزعت سدادته و فتحت صنبور الإستحمام و نامت بداخله في وضع الجنين تاركة جسدها بين يدي قطرات الماء البارد.. تسقط المياة في الصرف محملة بسواد أتربة كانت متشبثة بجسد "رنا".. إعتدلت بإرهاق و أمسكت بفرشاة الأستحمام حكت جسدها به لتزيل ما لم تجبره المياة على مغادرة جلدها الناعم.. دقائق و وقفت أمام المرآة.. سرعان ما تبدل حالها.. شعرها المبلل تموج بعد أن كان منسدلاً بنعومة تحسدها عليها زميلاتها.. تمكنت الهالات السوداء من عينيها بعد أن كانت تحاربها بالطعام و الكريمات.. وجهها به مئات الخمشات من أظافرها و أشلاء ما حطمته أثناء غضبها، و جرحاً غائر أعلى أنفها وصل بين حاجبيها لكن دمائه توقفت يأساً أو رأفة بحالها... بسبب ما قامت به في غرفتها لم تجد أية ملابس تصلح للإرتداء فدخلت غرفة "نور" و كأنها دخلت غرفة بمنزل آخر، كل شئ مرتب و منظم في مكانه تماماً كما تركته "نور" فتحت خزانة أختها وإرتدت حُلة سماوية جعلتها فاتنة.. مشطت شعرها.. غادرت الشقة و صفعت الباب خلفها.. في المصعد ظلت تتأمل وجهها بعد ما حدث.. قد كبرت ملامحها على الأقل عشرة سنوات كاملة في ثلاثة أيام فقط.. توقف المصعد و إنفرج الباب لتخرج منه "رنا" بخطوات ثابتة وما إن لمحها البواب حتى هرع إليها يحدثها بشئ لم تنتبه له و ظل سائراً بجانبها يحدثها و يحرك يديه بما يقول لكن "رنا" ركزت ذهنها على أية سيارة أجرة تعبر من أمام المنزل لتذهب بها لمكتب "محروس".. لم تصدق ما رأته.. وجدته في سيارته التشيفورليه السوداء نائماً و قد صدع منها موسيقى الهارد روك، كيف لأحد أن ينام في مثل هذا الإزعاج.. تمشت لنافذة سيارته المغلقة و طرقت على الزجاج المغلق لينتفض "خالد" و يعتدل ثم يفتح الباب باسماً قائلاً:

- كل دة يا أستاذة.

- معرفش إنك مجنون.

- لا مش أنا، الحاج حلف عليا لو رجعت من غيرك ما هيدخلني البيت، إركبي.

صعدت "رنا" بالمقعد المجاور له و دهس "خالد" دواسة البنزين فقفزت السيارة و بدون إرادة من "رنا" عادت للخلف وإندفعت للأمام بفعل القصور الذاتي فقال ضاحكاً:

- لا كدة جمبك حزام إلبسيه.

و إنطلقا بإتجاه المكتب.. سكون تام عكره صراخ مشغل الأغاني بصوت صاخب لأحد مغنين الروك، قطع الصمت صوت "خالد" الذي إضطر ليصيح به حتى يغطي على صوت الأغاني قائلاً:

- على فكرة بقى الحاج بيقول أن بعد الـ14 يوم نور هترجع و هتخرج و كمان هيجيبلها إعتذار رسمي و رد إعتبار..

صاحت هي الأخرى:

- لأ إنت متعرفش نور.

- كفايا عليا إني عارفك إنتي.. أكيد مش هستحمل نسخة كمان منك..

علت ضحكتها برغم كل شئ و صاحت:

- نور مش هتستحمل، لو قعدت ساعتين هناك مش هتخرج و هتقضي بقيت عمرها في مصحة.

- معنى كلامك إنها دلوقتي....

- في العزل..

صمت.. و صمتت.. ظلوا في هذه الحالة حتى صاحت أغنية محببة لـــ"رنا" فمدت يدها لمتحكم الصوت و رفعت صوت الأغنية و غنت معها بصوت عالٍ و تبعها "خالد":

- I crashed my car into the bridge I wached I leave it burned

I threw your shit into a bag and pushed it down the stairs

I crashed my car into the bridge… I DON`T CARE .. I LOVE IT..

ظلت "رنا" تصـرخ بكلمات الأغنية طوال الطريق و تصـرخ بمرح كأنها تذهب في رحلة مدرسـية مما أثار دهشة "خالد"..

صـرخت الإطارات على الطريق أسـفل مبنى فخم معبأ بالمكاتب.. فتحت أبواب السـيارة و خرج الإثنين متجهين لباب المبنى، ثنى "خالد" زراعه فتأبطته بكفها الرقيق و تمشوا إلى الداخل..

***

يجلس في مكتبه ممسـكاً دفتراً ذو غلاف جلدي، طُبع عليه بحفر غائر (د\ يوسـف بهاء الخطيب) و بخط أصـغر أسفل إسمه (دكتور الأمراض النفسية و العصـبية بمستشفى العباسية)، ممسكاً قلمه الفاخر يَخط في دفتره شئ ما..

"كانت نائمة في سـريرها بالعزل كملاك كسـر جناحيه, أسـفل عينيها خندقان من السـواد و برزت عروقها الزرقاء على ذراعيها و أمتدت حتى كفيها كنهران بين الجليد, ساكنة تماماً و ملامحها هادئة بالنسبة لشيطانة من الإنس, برغم خطاياها و تعبها الذي أثر بالتأكيد على جمالها, إلا إنها مازالت سـاحرة ، تمتد أنابيب طبية من عروقها إلى محلول الجلوكوز بجانبها لتغذيتها بما يحتاجه جســدها من غذاء كي تبقى على قيد الحياة خصـوصـاً أنه يمدها أيضـاً بنسبة من منوم الفينوباربيتون كي لا تستيقظ فتؤذي نفسـها أو غيرها.. كما حدث في أول ســاعاتها بالعنبر الجماعي، تأملتها قليلاً ثم إبتســمت و عدت إلى مكتبي.. إلتقطت دفتر المذكرات فوجدت ضوضاء و صياح و صراخ عالي و الممرض أتاني راكضاً لاهثاً مفزوعاً و هو يقول:

- إلحق نور يا دكتور...

ركضــت متجهاً لعنبر العزل لأجدها ممســكة بســن المحقن الذي كان بوريدها و ممســكة برقبة إحدى الممرضـات واضـعة السن على عرقها السباتي و تهدد بقتلها.. لكنها واهنة جداً، عيناها رغماً عنها تخفت و تُغلق.. تحاول التحامل على جسـدها لكن هيهات و سـتسـقط على وجهها فاقدة للوعي.. تمنيت أن يحدث هذا بسـرعة قبل أن تقتل المسـكينة الذي ألقى بها حظها السـئ داخل العزل لتبدل لها المحلول في هذه اللحظة..

سقط السن من يدها و سقطت هي خلفه فهرعت الممرضات و أنا من خلفهم نرفعها لنضعها في فراشها و نعيد وضع المحلول بمجرى الدم في وريدها.. رأيت "وليد" أحد الممرضين يلمس إحدى مفاتنها ظناً منه أن لن يشاهده أحد، أبتسمت إبتسامة جانبية دون أن ألفت النظر و أمرت أن يقيدوا يديها و قدميها كي لا يتكرر الحادث.. لكني مازلت أسأل نفسي.. متى سأتمكن من التحدث معها لإنهاء التقرير.. و كيف؟"

أغلق الدفتر و وضعه أعلى ملف "نور".. سحب أخر نفس في لفافة تبغة و دفنها في منفضة سجائره و قام يتمشى بهدوء متجهاً لغرفة العزل.. رمقها من خلف الزجاج العازل.. نائمة بوضع الجنين موالية ظهرها له، أطرافها الأربعة مقيدة بحبل بني غليظ بقوائم السرير.. فستانها الأبيض مرفوع قليلاً.. هل خيل له هذا! هرع إلى غرفة المراقبة و أعاد الشريط و جلس يشاهد.. هذا الخنزير وضع شئ ما أمام الكاميرا كي تخفي فعلته.. لكن أثر يده فضحه فجلدها رقيق جداً و أي شي يلمسه سترك أثراً عليه.. إذاهذا الخنزير قام بـ....

كان يعرف أن نباطشيته قد إنتهت و سوف يعود صباحاً.. لم يستطع النوم تلك الليلة حتى حان الصباح.. إنتظره بالخارج أمام المبنى.. رمقه يتمختر و يلقي التحية على كل من يقابله. إقترب منه و صاح بضحكة مقززة و لهجة بشعة:

- صباح الخير ادوكتوور..

إبتسم "يوسف" و هز رأسه راداً للتحية و هو مبتسم نصف إبتسامة ماكرة.. مر اليوم و بعد أن خف ضغط العمل إنسلخ الخنزير من بين القطيع و وقف لدقائق خارج غرفة العزل.. عند تأكده من خلو الطريق فتح باب العزل و دلف للداخل.. وقف أسفل موضع الكاميرا لكي لاتسجل ما يفعله و من ثم خلع حذائه وعلقه على الكاميرا كي يعترض رؤيتها... دقائق و نزع حزائه و لبسه و غادر غرفة العزل بملابس مختلفة... بعد نصف ساعت توقف خارج أسوار المستشفى منتظراً وسيلة مواصلات، أشار لأحد الميكروباصات و قفز به بينما يشاهده دكتور "يوسف" من شرفة مكتبه.. هرع يوسف للعزل و أخرج الكاميرا التي أخفاها جيداً.. عاد لغرفته و طلب من الساعي أن يحضر شاي ثقيل..

إنصرف الساعة بعد أن وضع الأكواب في مكانها المخصص على المكتب فأشعل "يوسف" لفافة تبغه و رشف رشفتين ساخنتين من كوب الشاي و فتح محتوى الكاميرا.. ملاك مقيد نائم نوماً عميق.. ثم خنزيراً ضخماً يدخل العزل بحذر.. يخلع حذائه و يعلقه على الكاميرا، ثم... يا أيها الخنزير المتحرش القذر.. ثم ينهض و يبدل ملابسه و يمسك بحذائه ويخرج من العزل... حسناً.. إذا هي بعض اللمسات فقط.. لكن هذا ليس بالهين.. هل يقدم المقطع لإدارة المستشفى.. لا ستكتفي الإدارة بلفت نظره أو خصم راتبه أو رفده في أقصى تقدير... يجب أن يحصل على عقابه المناسب.. فمن يدنس ملاك يستحق أن يهلك..

في الصباح نادى "يوسف" على "وليد" الذي هرع إليه قائلاً:

- أؤمرني يا دكتور.

إبتسم "يوسف" إبتسامته الجانبية قائلاً:

- هاتلي أسماء.

ظهرالفزع على وجه "وليد" قائلاً:

- أسماء اللي هي.. أسماء !

صاح به "يوسف" بغضب:

- أيوة بقولك أسماء، دقيقة و تكون قدامي.

- حاضر ادوكتوور.

و هرع متجهاً لغرفة عزل أخرى، دقائق و دخل ممســكاً بذراع ســيدة أربعينية، من نظرتك الأولى لوجهها تعرف أنها قوية.. صلبة فطلب منها "يوسف" بأدب:

- إتفضلي يا أسماء.

تحركت "أسـماء" ببطء شـديد و جلسـت على المقعد المواجه للمكتب و هي تنظر في عيني "يوسـف" نظرة خالية من أي مشاعر، نظرة قد ترعب من في موقفه لكن "يوسف" ظل باسماً بنصف بسمة.. قال "وليد":

- تؤمر بحاجة تاني يا دكتور.

نظر له "يوسف" بتحدٍ و قال:

- أة خليك و إقفل الباب عشان تمسكها لو حاجة حصلت.

ظهرالفزع و الإرتباك على وجه "وليد" قائلاً:

- بس يا دكتور...

قال "يوسف" مقاطعاً:

- مفيش بس.. كلها ربع ساعة و هترجعها العزل.

- طب هنده إبراهيم و عمر يقفوا معانا.

قال "يوسف" بغضب:

- لأ.. كدة أسماء هترتبك و مش هعرف أشتغل، إنت خايف!

قال "وليد" بفزع حقيقي و هو يتأتأ:

- بـ.. بصراحة اة خايف يا دكتور...

إبتسم "يوسف" و أمره أن يغلق الباب و أخذ منه المفتاح و وضعه بأحد الأدراج قائلاً:

- تخاف من إيه بس، ولا خايف أسماء تعرف!!!

الذهول أحكم قبضته على وجه "وليد" قائلاً:

- تعرف... تعرف إيه يا دكتور.

أشـعل "يوسـف" لفافة تبغ و مد يده بها لأسـماء التي تناولتها منه واضـعة إياها بين شـفتيها و قد بدى عليها الإهتمام، قال "يوسف":

- إنت عارف أسماء هنا ليه صح!

- عشان قتلت..

- عشان دبحت أخوها لما لقته بيعتدي على بنتها.. و قطعته و رمت جثته في النار.. و سلمت نفسها.

- أيوة..بالظبط، بعد ما قتلت جوزها و بنتها.

نظر "يوسف" لعين "أسماء" و قال:

- عندنا يا أسـماء في العزل اللي جمبك ملاك.. مجاتش هنا عشـان أذت حد.. جت عشـان مزاجها بيتقلب بسرعة.. بصي..

و مد يده بالكاميرا لها لتشاهد و يعتلي الغضب وجهها و تزداد أنفاسها و تضغط على أسنانها، حاول "وليد" أن يهرب بأي وسـيلة بلا جدوى، ركض برعب إلى مكتب "يوسـف و فتح الأدراج كلها بحثاً عن المفتاح فأطلق " يوسـف" صـافرة ليجذب إنتباهه، نظر الخنزير له فلوح "يوسـف" بيده الممسـكة بالمفتاح من خلف "أسـماء" التي نهضـت و عينيها يتطاير الشـرر منها، ركض "وليد" إليها و إسـتجمع قوته و رفع قبضـته و أنهال بها على فكها و قبل أن تصل قبضته شقت رقبته بفاتح أظرف كان قد أعطاه "يوسف" لها أثناء إنشغال الخنزير الضـخم، أمسك "وليد" برقبته التي سرعان ما إندفعت الدماء منها لسقط أرضـاً بين دمائه و نظرات جامدة خالية من المشـاعر في أعين "أسـماء" و نظرة انتصـار في أعين "يوسـف" الذي ظل ينظر لسـاعة يده حتى مر دقيقتين كاملتين ليتأكد أن أحد لن يسـتطيع إنقاذه ، ثم وضـع المفتاح بمزلاج الباب و أداره فأنفتح المزلاج و لم ينفتح الباب.. ترك المفتاح داخل المزلاج و عاد بضـع خطوات متفادياً الدماء النجسـة.. إلتقط الكاميرا و أخفاها في حقيبته بعد أن تأكد من إزالة المقطع منها ثم إسـتدعى على وجهه رعباً صـناعياً و صرخ بكل ما أوتيت حنجرته من قوة ليقتحم الغرفة كل من بالمستشفى...

***

يجلس "خالد" على أريكته الفخمة و بجانبه "رنا" ، يده تحيط كتفها و رأسها على كتفه، يشاهدان فيلم رسوم متحركة و يبتسمان بسعادة.. تأملت وجهه فأتسعت إبتسامتها قائلة:

- كان لازم أختي تتحبس عشان أشوفك!

- مش إنتي اللي قولتي إنت أخويا وعملتي تقيلة.

إعتدلت في جلستها و نظرت لعينيه الرماديتين قائلة:

- فصـيييييل... طب يا أخي عملت تقيلة خدني على قد عقلي.. بتدلع عليك.. بشـوف متمسـك بيا ولا لأ.. وإنت ما صدقت.

ضحك ببلاهة قائلاً:

- إنتي عارفة إني مبفهمش الحاجات دي.. أنا راجل مباشر.

إبتسمت بحب قائلة:

- طب يا مباشر.. خدني في حضنك...

***

فتح باب العزل، تركه مفتوحاً و دخل بثبات، جلس "يوســـف" على طرف الفراش ناظراً لوجه "نور" المتعب فأعتلت شفتيه إبتسامة شابها حزن فأخفاها قائلاً:

- أنا جيبتلك حقك من ... اللي ضـــايقك، مع إني كان نفســـي أعمل كدة بإيدي أنا، بس مكنتش هفرق عنه حاجة لو عملت كدة.. و أسـماء كدة كدة هتتعدم.. أنا معرفش عنك حاجة.. معرفش إنتي مين و حكايتك إيه.. بس متأكد إنك مقتلتيش اللي بيقولوا عليه دة.. و معرفش ليه أنا بعمل كل دة علشانك..

أمسك بيدها و قال بحنان:

- إنتي مش مجنونة.. إنتي بس عايزة حد يفهم حالتك.. إنتي حســـاســـة زيادة.. كلمة تطيرك من الفرحة و كلمة تموتك مالحزن و كلمة تجننك و تعصـبك.. مجرد إضـطراب ثنائي ميخليكيش تقتلي.. إمتى هقدر أتكلم معاكي.. فات إسبوع و فاضل إسبوع واحد على وجودك..

إنحنى على يدها و طبع قبلة عليها ثم عاد لموضـعه ناظراً لوجهها و إتسـعت إبتسـامته.. تمنى لو تمكن من طبع قُبلة أخرى على وجنتها لكن سـرعان ما ألقى بالفكرة من رأسـه و اسـتغفر ربه ونهض مغادراً.. توقف عند الباب و ألقى بنظرة طويلة عليها و قال:

- إنتي عملتي فيا أيه يا بنت اللذين إنتي.

و غادر بعد أن أحكم إغلاق الباب.

***

فتح "خالد" لها الباب وهم يضـــحكان، أخبرها أنه ســيمرعليها ليلاً ليخرجوا في نزهة بالســيارة، ودعها و طبعت قبلة على وجنته فأبتسم قائلاً:

- الكلام دة ليه محصلش من ساعة ما قولتلك إني بحبك.

لتنبت بجانبهم من العدم فتاة عشـرينية يتطاير الشـرر من عينيها و صـدرها يعلو و يهبط من شـدة أنفاسـها الغاضبة لتصرخ في "خالد":

- إنت بتخوني! و كلام ليه محصلش.. و بحبك.. إنت بني أدم حقير..

إرتبك "خالد" و أمســك بيديها محاولاً تهدئتها و عينيه تنتقل بين "رنا" و هذه المســكينة محاولاً إســتيعاب الموقف ليقول:

- يا سلمى إنتي فاهم غلط محصلش حاجة أفهمي.

لتبكي "رنا" قائلة:

- إنت بتبررلها، و محصلش حاجة! إنت كنت عايز يحصل حاجة! إنت بني آدم واطي.

أمسك ذراع "رنا" قائلاً:

- يا رنا و الله إنتي كمان فاهمة غلط، إفهمي بس..

نفضت "سلمي" يدها من يده قائلة:

- إنت بني آدم زبالة.. و أنا غلطانة و أستاهل ضرب الجزمة إني إرتبطت بواحد زيك..

و ركضت "سلمي" محاولة أن تداري دموعها ليقول "خالد بإرتباك:

- يا سلمي بس...

صرخت "رنا" مقاطعة:

- إنت طلعت مرتبط .. و عمال تحكيلي عن إخلاصك و حبك ليا و إني جننتك و طلعت عينك، عندها حق في كل وصف وصفتهولك، و إياك تحاول تكلمني ولا تجيلي ولا تكلم باباك عني.. و لو شوفتك في اي مكان هعملك فضيحة.. إنت فاهم.

و رحلت بين دموعها و ظل هو واقفاً بملابس لا تسمح له أن يلحق بإحداهن و ظل مرتبكاً حائراً لا يعرف ما يفعله حتى سقط على ركبتيه ودفن رأسه بين كفيه محاولاً السيطرة على دموعه.. قد أضاع حب حياته، و أضاع من هو حب حياتها في نفس الوقت.. قد خسر كل ما يتعلق بالحب و كل فرصة يتمناها أي شاب في دقائق..أما عن "رنا" فخرجت من باب المبنى و هي تكبح جماح دموعها قدر الإمكان، سعلت فوضعت يدها على فمها ثم إنهارت في البكاء، شعرت بيد توضع على كتفها فأنتفض جسدها و إلتفت لكن لا أحد.. عادت للبكاء بشدة فسمعت صوت "محروس" يصيح من خلفها بإسمها فألتفتت بسرعة.. ثم لا أحد.. شعرت بالخوف يتملكها و جسدها ينتفض فبكت كطفل خائف من وحش أسفل الفراش لتسمع صوت "نور" بحنان يخبرها ألا تخاف، فأطمئنت و ألتفتت.. لا شئ، إنتفضت وأطلقت العنان لقدمها تركض دون وجهة محددة فقط أرادت أن تهرب من كل هذا، أرادت أن تهرب من الخوف و الخذلان و البكاء و غصة القلب و الألم و الذكريات، ركضت حتى تعثرت و سقطت على ركبتيها فعادت للبكاء كطفل فقد أمه و أخذت تضرب الأرض بقبضتها حتى أدمت يدها و صرخت ألماً، فشعرت بيد تمسكها و تعاونها على النهوض و إذ برجل وقور حاول أن يطمئنها و يسألها فتركته و ركضت.. دفعت نفسها بالمصعد و ضغطت أحد الأزرار و ما إن اغلق الباب إنفلت الوعي منها، و سقطت..

***

(5)

صداع يضرب رأسها، تحاول وضع يديها على رأسها لكن لا تستطيع، شخص ما يمسك بذراعيها، يجب أن يتركها، تريد فقط ان تمسك برأسها لتكبح جماح صداع يشطره.. هذ الغبي يأبى أن يترك يدها، تجذب يدها بقوة لكنها لا تنفلت، يجب أن تضع يديها على رأسها.. غزى جسدها ألماً قاتلاً دفعة واحدة.. لابد أن تفتح عينيها، لكن تحريك جفونها أصعب من تحريك شاحنة بضائع دفعاً، شئ ما يمشى على أقدامها، تبدو حشرة.. يجب عليها قتلها قبل أن تلدغها فجلدها ضعيف.. أطلقت سبة لهذا الوغد المستميت على يديها ثم حاولت رفع قدمها لتحكها في أي شئ يُسقط الحشرة.. حركت قدمها لتجد وغداً أخر مستميت عليها.. و بدأت الحشرات تغزو قدمها و ترتفع لتغطي جسدها.. إتركوني أيها الحمقى قد تكون إحداهن سامة، بدأت تتلوى و تنتفض و تصرخ تريد أن تُسقط هذه الحشرات قدر الإمكان، الحشرات تزداد، الصداع يشق رأسها، أطرافها تصرخ ألماً و بدأت تختنق و صدرها يضيق بالهواء و شقت صرخة منها حنجرتها فسعلت ثم عادت تصرخ، ترغب بفتح عينيها لكن عيونها تأبى بإصرار، ها هو وغداً أخر يمسك بمعصمها ثم يضع كفه على كتفاها و يهزها ثم يلطمها على خدها، من يظن نفسه هذا الأحمق.. صوتاً بعيد ينادي بإسمها، صوتاً ليس مألوفا على الإطلاق.. تم يد إرتفعت من على كتفها و إستقرت على رأسها، إصبعان حاوطوا عينها و حاولوا فتحها عنوة، و أخيراً جفنها قرر الإفراج عن بصرها ليفاجئها ضوئاً كمنارة مما جعل جفنها يتراجع عن قراره و هو يسبها و يسب نفسه لطوع أمرها لكنه لم يستطيع الإنغلاق فمازالت الأصابع تحاوط عينيها ثم.. من هذا! إنه حقاً شاباً وسيم، لماذا هو مفزوع و يصرخ فيمن حوله، من هذا و من حوله؟ أين هي؟ هذه رائحة عطر رجولي صارخة مميزة، تبدو لهذا الوسيم المفزوع.. ناوله أحدهم شئ ما يلمع.. عبث الوسيم به ثم مد يده ماسكاً ذراعها.. تريد أن تخبره كم هو وسيم لكنه خيب ظنها و طعنها بحربة في ذراعها و من ثم شعرت بسائل ما يتسرب لعروقها، هي لا تريد أن تغمض عينيها لكن عينيها تصارعنها، تريد أن تنام.. رأته يقترب منها مبتسماً، يا لجمال هذه الإبتسامة.. ثم غفت..

ما هذا؟ يد خشنة غليظة تعبث في ملابسها، إنفاس مقززة تتسارع بجانب أذنها و رائحة كريهة تهاجم أنفها المسكين.. فتحت عينها بعد صراع مع جفونها لترى خنزير أفريقي ضخم.. ترى ماذا يفعل.. لماذا يخمش جلدها.. أين الوسيم ليصرع هذا الخنزير المخيف الذي يعبث بمخالبه على قدمها.. تذكرت الوسيم إبتسمت.. و غفت..

صوتها الذي يتحدث دائماً في الهاتف.. تدخل بإهمال و تغير شئ ما و تخرج الحربة من يدها ثم تغرس أخرى أشد ألماً لتنام المسكينة على الفور..

هذا عطر الوسيم، هو قريب إذاً جاهدت جفنيها و فتحت أحدهم محررة بصرها.. ها هو الوسيم يقوم بإخفاء شئ ما في الحائط الأبيض.. هم أن يغادر لكنه توقف عند الباب و نظر لها.. يا لها من نظرة مريحة و مطمئنة.. و غفت على أثرها..

هذا الخنزير المقزز مجدداً بأنفاسه الكريهة و مخالبه الحادة يتحسس جلدها.. ماذا يفعل هذا المقزز، أين يكون الوسيم حالما يأتي هذا الخنزير ذو الأنفاس النجسة و اللمسات الجارحة.. تسارعت أنفاسه مرة أخرى.. لا لن تفتح عينيها تكفي هذه الرائحة و صوت الأنفاس و الإحساس بالمخالب.. أين أنت أيها الوسيم؟ لماذا لا تظهر لتصتاده و تذبحه و ترميه للضباع لتنهشه كما تنهش مخالبه جلدي.. ها هو ينهض.. يغطي جسدها، ثم لا شئ..

ها هو العطر المحبب، جاهدت عينيها و فتحت إحداهما لتجد أن الباب ينغلق ولا أحد.. ولا حتى الوسيم، لماذا رحلت بهذه السرعة أيها الوسيم فقد ظننتك مختلفاً..

فتاة الهاتف تصيح في حماتها بجانبها، لن تعاني لتفتح جفونها، على كل حال ستذهب في سبات بعد ثوان...

عطر الوسيم مجدداً، إذن هو هنا.. ستفتح جفونها.. ها هي ستحاول.. تريد أن تمتع بصرها بوسامته، لكن عيونها تأبى و تحارب بكل وسيلة.. شعرت به يجلس بجانبها، لم تفزع فهي تثق به، لا يمكن لوسيم مثله ذو عطر كهذا أن يكون خنزيراً.. تسرب لأذنها صوته الحنون فزادها إطمنان.. حدثها عن إنتقامه من هذا الخنزير الذي يخمش جلدها و يخبرها كم هو حزين أنه لم يقوم بهذا بنفسه و يعتذر منها.. حسناً هي ليست غاضبة فقد فعل ما يستطيع و هذا يشعرها بسعادة بالغة.. حدثها أخبرها أنه من سيزيح عنها هذا الخنزير و ها هو لم يخيب ظنها.. إختفى صوته لدقائق شعرت بحزن من رحيله المفاجئ، لكن يداً أمسكت بيدها في حنان .. واثقة بأنه هذا الوسيم، يده ناعمة رقيقة حنونة على عكس مخالب الخنزير المقذر.. أخبرها أنه يعلم حالتها و يتفهم، لامها على نومها المستمر و أخبرها أنه يريد محادثتها، حسناً يجب أن تحاول.. شعرت بفمه يطبع قبلة ساخنة على يدها فغمرتها سعادة رغم إرهاقها الشديد، تمنت بشدة لو طبع أخرى على وجنتها لكنه خيب ظنها، شعرت به ينهض فحاولت تحريك شفتيها لتخبره لكنها لم تستطيع رغم محاولاتها الخارقة.. سمعته يسألها ما فعلت به و من ثم يُغلَق الباب، ترى ماذا فعلت به؟ هي متأكدة أنها لم تفعل شيئاً.. تذكرت قبلته على يدها و ركزت شعورها على هذه اليد لتشعر بأثر القبلة عليا.. و غفت و هي تغمرها السعادة..

ها هي ثرثارة الهاتف تمسك بكفها و ترفعه و تسحب منه الحربة ثم تبدل شئ ما بجانبها، يجب ان تتحدث فهذه فرصتها الوحيدة قبل أن تنام.. رفعت الثرثارة كفها فحركت "نور" شفتيها قائلة بصوتٍ مبحوح جداً:

- أتـــكـــ

أفلتت الثرثارة ذراعها و سـقط هاتفها و نبّهت حاسـة سـمعها و كل حواس التركيز لديها على وجه "نور" لتفتح "نور" عينها اليسرى و تحرك شفتيها قائلة:

- أتـــكـــــلـــــــــــ...م.

***

طوى الأرض بين مكتبه و غرفة العزل حين سـمع الممرضـة تصـيح في وجهه (إلحق نور يا دكتور)، الآف الإحتمالات و الأســئلة تنبعث في رأســه، كيف حُررت من قيدها؟ هل آذاها أحد؟ هل هي بخير؟ هل أحدهم في خطر؟ و آلاف الآلاف من الأسئلة التي تستطع الصبر نصف دقيقة لتعرف الإجابة، نظرلـــ"نور" من خلف الزجاج فوجدها نائمة على ظهرها مقيدة كام تركها لكن بقعة دماء كبيرة صبغت فستانها الأبيض و الفراش، هرع للداخل و هو يدعو ألا يكون ما خُيل له، تنفس الصـعداء و حمد ربه فقد وجد أن الدم تسـرب من وريدها إثر سـحب سـن المحقن منه دون سـد مجرى الدم فأسـرع بإخراج منديل ورقي سـد به الوريد و صاح في الممرضات بإحضار صندوق الإسعافات، نظر لوجهها معتذراً و متأسفاً منها ثم أغمض عينيه في محاولة لإقناع عينه بالرجوع عن الدموع التي تجمعت في مقلتيه فتسـرب لأذنه صـوتاً ناعماً مبحوحاً جعله يفرج عن دمعتين ساخنتين تسابقا على وجهه و هو ينظر لعينها اليسرى و هي تحملق به، قرب أذنه من فمها ليسمعها تقول:

- مـتتـــ..أســـفش..

إنفرجت إبتسامته و على وجهه الفرحة قائلاً:

- إنتـ.. إنتي فايقة.

لتبتسم بتعب قائلة:

- فـــايقـــة.

صـــرخ في الممرضـــات لإخلاء العزل و عدم الســـماح لأحد بإقتحامه و ما إن أغلقت الأخيرة الباب خلفها إحتضـنها و دفن رأسه في متفها و بكى، إتسعت إبتسانتها المرهقة و أصدرت أنين متألم ليبتعد عنها و يعتذر منها لتقول بصوت غزاه التعب:

- قـــولـ..تـــلك متـــ..تأســـفش.

فاضت عيناه بالدمع و هي تنظر له و تبتسم بحنان قبل أن يسعل، ثم يهندم من ملابسه.. ثم يخبرها بصرامة:

- أستاذة نور، أنا دكتور يوسف الخطيب، أنا مش قاضي و مش هنا عشان أتهمك بأي حاجة.. أنا هنا عشان أسمعك و أساعدك، هستناكي تفوقي من تأثير المنوم عشان هنقعد...

تطلب منه الحديث معها بهذه الصرامة جهد خرافي، حاول أن يظهر ثابتاً واثقاً كما يراه الجميع بل حاول أن يكون بارد الأعصاب ليصلح ما أفسده إندفاعه، لقول هي ما يفسد خطته تماماً.. نظرت لعينيه بثقة ثم قاطعته قائلة بلهجة ساخرة:

- و الله!

لينفجر ضاحكاً و تضحك هي الأخرى بتعب و إرهاق حتى غفت بين نظراته المطمئنة، ظل بجانبها طوال الليل لا يفعل شيئاً سوى أنه يراقب ملامحها المتعبة، تمنى لو يراها بحالتها الحيوية النشطة لتلمع في رأسه فكرة.. أخرج هاتفه و فتح أحد تطبيقات التواصل الإجتماعي و ظل يبحث عنها بإسمها ثنائي و ثلاثي باللغة العربية و الإنجليزية و يقتحم مئات الصفحات الشخصية باحثاً عنها ثم يبحث بأي كنية قد تطلقها على نفسها لكن بلا جدوى، تذكر أنه قرأ أن لها توأم تسمى "رنا" فبحث عن رنا ليجدها بسرعة و يجد صورة تجمعهما قد أشارت "رنا" لـ"نور" بها.. فدخل صفحتها...

***

فتحت "رنا" عينيها لتفاجأ برأس بشرية تراقبها، لحظات قبل أن تستوعب أن هذا طبيب و أنها بمستشفى لتنتبه لكلامه الذي كان وابل من (ألف سلامة) و (خضتينا عليكي) و أشياء من هذا القبيل، و نصائح طبية و تشديد على الإنتظام في تناول الطعام و شرب المياة و عدم التعرض للضغط العصبي ثم إنصرف الطبيب و إقتحمت رأساً أخرى لا تعرفها ليكرر ما قاله الطبيب بصيغ مختلفة لتقاطعه قائلة:

- مين حضرتك؟

- أن متأسف نسيت أعرفك بنفسي، أنا سامح عبد الله مصمم جرافيك و عندي باند مزيكا على قدي..

- أهلاً و سهلاً نعم يعني!

- أة بعتذر مرة تانية، أنا اللي جيبتك المستشفى و مسيبتكيش لحظة واحدة..

حاولت تذكر ما حدث لكن ذاكرتها أبت فقالت لهذا اللزج صاحب الباند الموسيقي:

- هو إيه اللي حصل؟

- أبداً أنا خارج من شقتي لقيت باب شقتك مفتوح و إنتي واقعة في الأرض قدامه، الحمد لله إنك ملحقتيش تدخلي لا قدر الله لو كنتي وقعتي جوة كان ممكن محدش يلحـ..

تركته يهذي و حاولت أن تتذكر أي شئ مما قاله لكن بلا أي جدوى، ضغطت بيديها على رأسها في محاولة فاشلة لإحتواء الصداع الذي يشج ثم تحاملت على نفسها و رفعت جسدها ليضع يده على كتفها محاولاً منعها لكي تقول له بغضب شابه التقزز و هي تنظر ليده:

- لو إيدك لمستني تاني هخليهم يحجزولك الأوضة اللي جمبي.

خطف يده من على كتفها و أمسكها بالأخرى خائفاً ثم نظر خارج الغرفة صائحاً:

- يا دكتووور...

و غادر على الفور، حاولت "رنا" أن تنهض بشتى الطرق لكن جسدها خانها، إستسلمت لتعبها و هي تحاول أن تستدعي آخر ما تتذكره، نعم.. "خالد" "سلمى" ، تبأ لهذا الخائن المخادع، تركض حتى منزلها.. تركب المصعد.. يزداد ألأمها.. تسقط.. تستفيق.. تزحف حتى شقتها و تخرج المفاتيح.. تتحامل على نفسها و تفتح الباب.. تسقط مفاتيحها فتحاول إلتقاطها.. ثم لا شئ!

مر الكثير من الوقت حيث تتوالى عليها الممرضات و الطبيب حتى سمح لها بالخروج.. ها هي ذي تغادر من باب المستشفى، أوقفت سيارة أجرة و دلفت للداخل بعد أن أخبرته عن وجهتها... مكتب "محروس" المحامي...

توقفت السيارة أمام المبنى الفخم و ترجلت منها "رنا" المتعبة و بخطوات مترنحة عبرت البوابة الضخمة و طلبت المصعد.. دقائق و وصلت للطابق الذي يقع به مكتب "محروس" الفخم... خرجت من المصعد و ترنحت حتى عبرت الباب لتهرع إليها "تقى" سكيرتيرة "محروس" و إحدى المتدربات عنده، إستندت "رنا" عليها فساعدتها "تقى" حتى أجلستها على أحد المقاعد و قالت:

- قلبي عندك يا رنا، الأعمار بيد الله...

حملقت فيها "رنا" بنظرة مطولة دلت على عدم الإستيعاب لتعالجها "تقى" قائلة بإرتباك:

- أنا أسفة أوي و الله إفتكرتك عارفة عشان كدة دة حالك ...

***

وضع المفتاح في المزلاج و أداره لينفتح باب شقته و يتسرب لإذنه صوت "أم كلثوم" تغرد بأغنية (إنت عمري) و تلتقط أنفه رائحة طعام يتم طهوه، أغلق الباب و ترنح بتعب حتى الأريكة فألقى بجسده عليا، أخرج من جيب قميصه الكحلي علبة سجائره البيضاء و أشعل إحداها و سحب نفساً عميقاً منها ثم أغمض عينيه و أمال رأسه للخلف بإرهاق و هو ينفخ دخاناً رمادياً سَمِع على أثره سعال أنثوي.. فتح عينه و نظر لصاحبة الصوت فوجدها تقف ممسكة بمغرفة كبيرة و على صدرها (مريلة) لتحمي ملابسها البيتية من كل ما يمكن أن يلطخها أثناء وجودها بالمطبخ، علت ضحكاته من منظرها لتنظر لنفسها و تقول بلوم:

- دة بدل ما تخش تطمني عليك على طول، بقالك 3 أيام بايت في المستشفى ولا الله أعلم كنت فين و سايبني هنا مع العيال لما طلعوا عيني..

وبرزت من عيونها دمعتين حاولت وئدهم لينهض و يقبل رأسها متقززاً من رائحة الزيت التي تفوح منها و يقول:

- معلش يا حبيبتي ما إنتي عارفة الشغل.. و بعدين في مريضة دبحت ممرض قدامي كان لازم أستنى لما الإجرائات تخلص..

ظهر الهلع و الخوف النابع من حب حقيقي على وجهها و جزبت رأسه لأحضانها و هي تقول بحنان :

- يا نهار أبيض و مقولتليش ليه.. طب إنت عامل إيه دلوقتي؟

حاول كتم أنفاسه كي يمنع عن أنفه هذه الرائحة و علامات التقزز واضحة على وجهه و هو يقول:

- متأثر بس باللي حصل، محتاج أناااااام.. و مهما حصل متخليش حد يصحيني..

أبعدت رأسه عنها و نظرت في عينيه قائلة:

- عينك دبلانة خالص يا حبيبي، إستنى أنا بعمل الأكل كلك لقمة قبل ما تنام و نام بعدها براحتك إن شالا تنام 10 ساعات.

عشر ساعات! إنها مجنونة حقاً.. لابد أن ينام عشرة أيام على أقل تقدير! رسم إبتسامة بلهاء على وجهه و هو يقول:

- لا مش أوي كدة.. هما يا دوب..

قاطعته بعلامات تقزز إرتسمت على وجهها لتقول:

- و لازم تاخد دش و تغير هدومك.. شكلك بقالك كتير ما غيرتش القميص دة...

إرتسمت نصب إبتسامة بلهاء على وجهه بمعنى (حَدِث ولا حرج) ليرد قائلاً:

- حاضر يا حبيبتي... تؤمري بحاجة تاني!

- العيال على وصول، متشربش زفت قدامهم.

- حاضر يا حبيبتي.. حاجة تانـ...!

- إقفل تليفونك عشان محدش يصحيك و تنزل تجري زي كل مرة.

- حاضر يا حبيبتي.. حاجـ...

- متنساش تكـــ...

وضع يده على فمها و حملها و دار بها حول نفسه لتصرخ بمرح، ظل يدور بها حتى فقد إتزانه فأنزلها و طبع على وجنتها قُبلة قائلاً:

- بـــــس كدة، كدة أنا أشوف السرير و هنام قبل ما اغير هدومي حتى.

إستدار و تحرك في إتجاه الغرفة و هي تضحك ثم تصيح من بين ضحكاتها قائلة:

- طب والأكل..!

ليرفع يده و يقول دون أن يستدير لها:

- شششششش بقى بلى أكل بلى بتاع..

لتنفجر في الضحك ثم تصمت فجأة و تهلع للمطبخ قائلة:

- نهار أسوح الأكل!

***

(6)

مازالت تُحدث ضـــوضـــاء بنهيقها مع حماتها في الهاتف لليوم الثالث، دخلت غرفة الفئران – المطبخ – الذي يَعِدون به وجبات المرضـــى المقززة، مدت إحداهن يدها بحاملة طعام أشـــبه بتلك الذي يســـتلم فيها المســاجين طعامهم لترفعها و تغادر و هي تصـيح في حماتها بشـئ ما، إتجهت لغرف العزل و وضـعت ما يحمل الطعام على مزلاج و دفعته للداخل، "نور" تلتفتت إليه ثم تنهض و تتجه إليه.. مدت يدها و ســحبته ثم توقفت و رمقته محاولة أن تتبين ما به.. قطعة من صدر دجاجة نُتف ريشها بإهمال و أُلقت في مياه تغلي في إناء قذر.. ملعقة من الرز الأبيض – الذي من المفترض أن يكون أبيضـاً – به بعض الشـوائب الداكنة.. ملعقتي حسـاء داكن لا تعرف ماهيته و نصـف خيارة مُقطعة على نصـف حبة طماطم لم يُغسـلوا جيداً – أو مطلقاً – وضـعت "نور" يدها على فمها و هرعت لفراشـها بعد ان اصـابها التقزز.. ظلت سـاكنة في فراشـها الأبيض بوضـع الجنين حتى تسلل إلى اذنها صـوت "ريهام" – الممرضـة الثرثارة ذات الهاتف – تصـيح في شخص ما قائلة:

- و الله لما قالوا إنك روحت يا دكتور مصدقتيــش، إفتكرناك معندكش حتة تشيبات فيها.

و أطلقت ضـــحكة منفرة زادت من غليان الدم في عروق "نور" فهي تكرهها و تكره ثرثرتها و لهجتها السوقية التي تنطق حرف التاء _(تشيـــــــ) و تكره إنعدام ذوقها في التحدث إلى (حماتشيها) و الآن طريقة كلامها مع "يوســـف" ، تمنت في هذه اللحظة أن تصـــيبها حالة الإضـــطراب فتقتلها دون أن تعاقب، لكن الأدوية تؤدي دورها على أكمل وجه..

سـمعت باب العزل ينفتح فألتفتت لتجده أمامها، فارع الطول يرتدي حُلة كحلية زادته وسـامة، بدون مقدمات إقتحم عطره خياشـمها مما زادها سـعادة و إطمئنان، ثم هذه الإبتسـامة السـاحرة و هذا الصـوت الحنون الذي يقول:

- عاملة إيه دلوقتي؟

- جعانة.

فلتت منه ضحكة حاول السيطرة عليها لكنها لم تطعه فقال:

- هي ريهام مجابتلكيش الأكل!

نفخت "نور" في ضيق لترتسم علامات التعجب على وجهه و يجلس على طرف الفراش قائلاً:

- إيه بس في إيه؟ أحكيلي...

في حنق و ضيق قالت:

- بصراحة أنا مخنوقة من زفتة دي و مش طايقاها.

- ليه بس عملت إيه؟

حكت له كل ما يعتمل في صدرها بسبب (مكنة الكلام) التي تسمى "ريهام الممرضة" فأنفجر ضاحكاً و قال:

- طب يا ستي متقلقيش، أنا هغير المتابعة بتاعتك خالص..

- في حاجة كمان...

- خير.

قالت مترددة:

- إرجع ركبلي المحاليل...

- نعم! دة ليه كدة...

- مهو أنا مش هحط الأكل اللي بيجيبوه دة في بوقي.. و إنت عايزني كويسـة عشـان تسـتجوبني.. فحطلي المحاليل.

إبتسم برقة قائلاً:

- أنا مش هســتجوبك.. و مش محتاج أتكلم معاكي عشـــان أعمل التقرير.. و لما تيجي تطلبي مني حاجة أطلبيها بطريقة مباشرة مش لازم تقولي ركبلي محاليل و الجو دة..

- أنا مقصدش كد...

- شـشـش، هغيرلك الأكل وهخليهم يجيبولك أكل نضـيف.. و لما تيجي تطلب حاجة بعد كدة أطلبيها مني بقلب جامد..

طأطأت رأسها و إحمرت وجنتيها و نظرت له نظرة برئية و قالت:

- حاضر.

- جاهزة نتكلم شوية!

قالت بفرح:

- أها

سـاعدها على النهوض و غادرا سـوياً غرفة العزل متجهين لمكتب "يوسـف"، ظلت تفكر و هي تمشـي بجانبه.. لماذا تتدلل عليه هكذا! لماذا تشعر معه بكل هذه السعادة رغم أنها لا تعرفه ولا تعرف عنه شيئاً؟ و كانت رأسه مشغولة في أمر شبيه.. لماذا يتركها تتدلل عليه؟ لماذا يهتم لأمرها كثيراً ؟ و لماذا كتب تقريره أنها عاقلة لكنها لا تتحمل مسئوليتها الجنائية؟ رغم أنه لم يتحدث إليها أصلاً! لكن هيهات.. ها هو سيتحدث إليها ليعلم إجابات لكل هذه الأسئلة، رغم أنه يعلم مسبقاً، فهو...

***

ظلت تسأل نفسها لماذا؟ لماذا إنتقلت من التجمع! لماذا منذ إنتقالها و كل شئ ينهار! لماذا تم إحتجاز أختها و بعدها عنها! لماذا إنتحر "بلال"! لماذا أحبها "بلال"! لماذا عاد "خالد"! لماذا خانها "خالد"! لماذا يموت كل من يحبها! لماذا مات "خالد"!...

جلست بجانب الرصيف و دفنت وجهها بين كفيها و إنهارت بالبكاء، ظلت تبكي و تنتحب حتى جفت دموعها و غزت البرودة عظامها و إرتعش جسدها و ضاق صدرها بأجراس السيارات التي تُطلَق كلما مرت بجانبها و تعليقات السخفاء التي يصيحون بها فنهضت لتكمل تخبطها حتى تصل إلى منزلها أو تفقد وعيها أو تموت في طريقها... ظلت تتخبط و تترنح و تهذي و تبكي و تصـرخ و تسـكت و تئن حتى عبرت باب المنزل فأصتدمت بشاب فارع ذو جسد رياضي و سقطت أرضاً، إنحنى الشاب و مد يده لها فلم تمد يدها، جلس القرفصاء بجانبها و سألها من هي و ماذا أحاط بها فأخبرته أنها تسكن في هذه العمارة، سألها عن شقتها فأجابت.. حملها و دخل بها المصـعد و ظل ناظراً لوجهها و على وجهه علامات التعاطف، ظلت تهذي بكلمات غير مفهومة بين الوعي و غيابه حتى وصل المصعد للدور الذي تقبع شقتها به.. تحرك بها إلى الشقة و سألها عن المفتاح فقالت شيئاً لم يتبينه، تأسف منها قبل أن يفتش جيوبها و يخرج المفتاح.. دفع الباب بيد و بالأخرى كان يسندها و هي شبه مرتمية على كتفه، دخل معها فشاهد كم الحطام الذي أحاط بمحتويات الشقة، حملها و تحرك بها إلى كل الغرف ليجد أن الحطام قد طال كل شئ.. فتح باب حجرة "نور" ليجدها مرتبة تماماً كأنها ليست جزء من علبة القمامة تلك، وضعها في الفراش و جلس بجانبها، عدل من ملابسها و نظر لوجهها، ظل حائراً ما يفعله فترِكها بمفردها يشكل خطر عليها و الشقة دليل قاطع فلا يوجد سارق أو شخص يريد أن يلحق بها الأذى يترك غرفة كهذه مرتبة لهذه الدرجة، هل يمكث معها حتى تستعيد وعيها؟ ربما تشك أنه قام بشئ ما سئ و تصرخ، ماذا يفعل إذاً مع هذه المسكينة؟ رمقها بنظرة طويلة و لمعت في

راسه فكرة لكن سرعان ما تخلص منها و نهض مسرعاً، عدل من ملابسه إثر حمله لـ"رنا" و أقنع نفسه أنه بذل ما بوسعه و هم أن يغادر لكن قبل أن يلتفت شعر بشئ ما صلب ضربه على رأسه من الخلف.. حاول أن يلتفت لكن جسده لم يسعفه.. سقط على ركبتيه و هو ينظر لـــــ"رنا" النائمة لا تشعر بشئ، حاول أن ينهض.. أن يتماسك.. لكن عينه أصرت أن توئد النور عن بصره فسقط فاقداً لوعيه.. أو أسوأ...

***

تسرب لأذنها أصوات سيارات الشرطة، وضعت يديها على رأسها محاولة الحد من هذا الصداع المؤلم، شـــاهدت آلاف الكوابيس أثناء نومها مما جعلها تحمد الله على إســـتيقاظها و إكتشـــافها أنهم مجرد أضغاث أحلام، فتحت عينيها للحظات كانت كافية لمهاجمة الضوء لها فأغلقتهم بشدة و هي تزفر في حنق، لمعت في رأسها أختها "نور" ترى كيف حالها الآن؟ هل سوف تخرج فعلاً كما قال "محروس" أم سينشغل "محروس" عنها بسبب وفاة "خالد"؟ خالد! هل توفى "خالد"؟ نعم لقد وصلها هذا الخبر.. لكن ممن! نعم نعم إنها تلك الســـكيرتيرة التي تعمل بمكتب "محروس" أياً كان إســـمها.. "محروس"! إذا لم يكمل "محروس" الإجراءات لإخراج "نور" فمن سيفعل إذاً! حسناً ستفعل هي تلك المهمة مهما كلفتها.. هلا يحل هذا الصداع عن رأســها للحظات! هي قادرة على مســاعدة "نور".. فلتعتمد تؤمتها عليها إذاً.. و لكن لماذا مات "خالد".. هل لأنها تركته و رحلت! أليس لها الحق أن تغضــب لعلمها بخيانته لها! أم لأكتشــاف الفتاة الأخرى أياً كان إسمها لخيانتها معها! هل حقاً قام بخيانة "سلمى معها! "سلمي"! نعم نعم هذا إسم المغفلة الأخرى.. إذا لماذا مات "خالد"! هل إنتحر كـــــ"بلال"! بالطبع لا "تقي" لم تخبرها شــيئاً عن (إنتحار) فقط قالت أنه توفى و إنهارت في البكاء.. "تقى" نعم نعم هذا إســـمها.. ترى لماذا إنهارت في البكاء؟ هل هي مغفلة أخرى كانت ضحية لـــــ"خالد"؟ لا لا تظني هذا فإذا كان مخادعاً يخدع الفتيات لما إنتحر.. من قال أنه لم ينتحر؟ اووف يجب أن تتوقفي عن التفكير و إلا إنفجرت رأسك.. حسناً إفتحي عينيك ببطء كي تعتاد الضوء.. هكذا .. أووه ترى من هذا؟ قد رأيته من قبل فتذكري.. لماذا يجلس محدقاً بكِ هكذا؟ و لماذا نظرته حادة جداً؟ يجب أن تنهضي و تصفعيه لإقتحامه غرفة نومك.. لكن هذه ليست غرفة نومك.. إنها غرفة نوم "نور".. "نور"! ترا كيف حالها الآن؟

سمعت صوتاً غليظاً يصيح بها بغضب قائلاً:

- مش هنخلص بقى ولا إيه!

إنتبهت و نظرت له تتبيين ملامحه و تحاول تذكر أين رأته من قبل و فور تذكرها إتسعت عينها و إنتفضت في مكانها لينهض واقفاً و يقول لها بصرامة:

- أحمد عبد الحي.. رئيس نيابة.

***

ثَبتَ هاتفه جيداً على المكتب بعد أن فتح الكاميرا الأمامية ليتمكن من مشـــاهدة تعابير وجهه فهذا المبنى منعدم المرايات، ظل يحملق في وجهه الحليق.. و شعره المهندم، و عينيه الواسعتين، حتى وجد نفسه يفكر بها.. تلك الفتاة التي قذف بها القدر له، تلك الفتاة ذات الحضور الكبير حتى و هي تغفو في سباتها، تلك الفتاة التي آسرته و أسَرته و أثرت به، مجرد فتاة مصابة بإضطراب ثنائي القطب، متهمة بجريمة قتل لم ترتكبها.. يا لعجب القدر، ولماذا أصـــر رئيس النيابة ذلك على إنتقالها هنا؟أم تراها تكذب! لا، بالطبع لا تكذب.. لم

يتبقى سوى ثلاثة ايام و ترحل.. عليه الوصول لها بعد ذلك بأي شكل.. حسب تقريره ستعود لمنزلها تحت الوصاية، يجب أن يتواصل معها.. من حسن الحظ أن معه حسابها على موقع التواصل الإجتماعي.. يريد ان يحدد شعوره الحقيقي بها، كل شئ يؤكد له ما يرفض عقله الإعتراف به، ليس من المنطقي حدوث هذا! هو لم يحدثها سوى في ثلاث جلسات، تحدثوا عن كل شئ عدا القضية، تروي له عن حياتها و أصدقائها و تؤأمتها و هذا المحامي الذي تولى رعايتهن بطريقة ما، لم تحكي له عن حبيب سري أو ما شابه.. ربما لا تملك إذاً.. هل إعترف للتو! لا لا بالتأكيد هو مجرد تفكير أحمق، ربما يلمح لها في جلسة اليوم عن حبيب سري أو حبيب سابق.. سمع طرقات على الباب فأذن للطارق بالدخول فإذ به مندوب من رئاسة نيابة 6 أكتوبر، رحب به و سمح له بالجلوس فقال المندوب:

- دة إذن بعودة نور هشام مغاوري للنيابة النهاردة.

- بس يا فندم لسة 3 أيام على معاد إصدار التقرير.

- لا لا ملوش لازمة، في أدلة جديدة بتبرأها و هيتم إطلاق سراحها النهاردة من النيابة.

***

هناك شئ ما خاطئ.. شيئاً بداخلها ليس على ما يرام.. لا تشعر بالراحة مطلقاً.. هل فقدت جزء من روحها؟ إنتبهت على نداء من رئيس النيابة قائلاً:

- أستاذة رنا لو سمحتي ركزي معايا..

لترد وهي شاردة و زائغة العينين:

- مع حضرتك يا فندم...

ما هذا؟ كيف وصلت لغرفتها؟ لماذا إقتحمت الشرطة غرفتها؟ و لماذا تستيقظ على وجه هذا الغليظ الذي يتحدث بشئ ما لا تسمعه؟ لماذا هو غاضب و عصبي جداً و يصيح في وجهها؟ رفع يديه و هبط بكفيه على المكتب بغضب صائحاً:

- لا بقى، لو سمحتي يا رنا تركزي معايا و الا هقول إنك إمتنعتي عن الرد، دة مش أسلوب دة..

إعتذرت منه ببعض الكلمات ثم قالت بعدم إنتباه:

- أنا مش فاكرة!

سألها بتعجب:

- مش فاكرة؟

قالت بتشتت:

- مش فاكرة!

فقال لها مفسراً:

- طارق صبيح مسعد جارك اللي في الدور التامن..!

تعمد السكوت في هذا الجزء ليرى رد فعلها فلم يبد أنها سمعته من الأساس فقال:

- أستاذة رنا إنتي سمعاني؟

- ماله طارق؟

إنشرح وجهه قائلاً:

- إنتي تعرفيه!

- لا.

ظهرت خيبة الأمل على وجهه قائلاً:

- أومال ماله طارق دي قولتيها ليه؟ دي لو دلت على حاجة تدل إنكوا عالأقل صحاب!

قالت بذات الشرود:

- إحنا مش صحاب..

إبتسم قائلاً:

- كويس أوي.. أمال إيه؟

ردت بذات العينين الزائغتين و نظرتها الخاوية قائلة:

- مين طارق؟

زفر "أحمد" بغضب قائلاً:

- إيه؟ كنت بكلم أمي كل دة! هنفضل نستهبل كتير؟

إلتفتت إليه و إبتسمت بسمة صافية وقالت:

- أنا مش بستهبل، أنا بقول الحقيقة.

قفز واقفاً وهو يلقي أمامها على المكتب صوراً ضوئية مطبوعة قائلاً:

- و الصور دي إيه؟

دون أن تمد "رنا" يدها نظرت للصـــورة العلوية لتجد نفســـها في المصـــعد على ذراعي شـــخص ما مفتول العضلات لا تعرفه، و قد أمالت رأسها على كتفه و أحاطت عنقه بزراعيها لتنظر إلى "أحمد" قائلة:

- دي مش أنا...

- مش إنتي إزاي؟ دة حتى لابسة نفس اللبس..

نظرت لملابسها ثم للصورة و قالت:

- دي مش أنا.. اللي في الصور دي نور... أختي التؤام.

زفر بضيق و قال:

- أختك نور في 8 غرب بقالها 12 يوم، و راجعة النهاردة.. تقدري تقوليلي إزاي كانت موجودة في مكانين في نفس الوقت؟ و إزاي لابسة نفس اللي إنتي لابساه دلوقتي؟ و إزاي في أثار بصمات لطارق في شقتك؟ و في أثار مشاجرة.. و إزاي طارق مقتول بضربة على دماغه زي الضحية الأولى؟ و إزاي طارق بعد ميعاد وجوده معاكي في الأسانسير حسب وقت تصوير الكاميرات يموت بعدها بتلت ساعة تقريباً؟ عندك تفسير لكل دة غير إنك..

- قتلته.

- بالظبط، أعتبر دة إعتراف!

- مش أنا..

- مش إنتي إيه؟

- اللي قتلته...

زفر في حنق قائلاً:

- مش إنتي قولتي دلوقتي قولتي أنك..

نظرت له مقاطعة:

- أنا عارفة مين قتل طارق...

تنبهت حواسه و إتسعت حدقتيه و إندفع الأدرنالين في عروقه فقالت:

- نور... تؤامتي المجنونة.

أغمض عينيه و ضغط على أسنانه في محاولة لكتم غضبه لتكمل:

- نور أختي المجنونة هي اللي قتلته، هي اللي باسته، و قتلته و شالته لحد شقته و مـ..

ضرب بيده على المكتب عدة ضربات غاضبة و هتك أسنانه ضغطاً عليها و قذف بأحد الأقلام للحائط لتتفرق أشلائه البلاستيكية ، زفر بقوة و نظر لكاتب المحضر قائلاً:

- تحول لقسم الأمراض النفسية و العصبية...

***

أغمض عينيه و عاد برأســه للخلف و هو ينفث دخان سـيجارته محاولاً وأد هجمات أفكاره المتوالية التي تفتك به، و ظل يتردد في رأسه سؤالاً حاول التخلص منه بشتى الطرق لكن بلا أي جدوى... ماذا بعد؟ ماذا بعد أن رحلت "نور" بعد أن نجحت في ســرقة عقله و ذهنه و بالتأكيد راحة باله؟ ماذا بعد؟ لا ينكر أنه من المستحيل تقع فتاة كــ"نور" في حب شخصاً بظروفه، ماذا لو علمت ما يخفيه؟ ماذا سيحدث إذا ذهب إليها و إعترف لها بكل شـئ؟ لا.. بالطبع لا فمن المسـتحيل أن تقبل أي أنثى هذا الوضـع، ربما وقوفه بجانبها وقتما رفضــها الجميع و أتهمها حتى أقرب من لها بالجنون هو ما جعل ما حدث قد حدث، و بمجرد ظهور آخر له ظروف سوية و يعاملها بلطف ستقع في حبه على الفور، إذاً ماذا بعد؟ هل يتقرب منها و يحاول فعل كل ما يقدر عليه لتقع في حبه هو! لا لن يستغل كونها وحيدة و تحتاجه لن يكون بهذه القسوة معها، ماذا بعد؟ إلتقط هاتفه و نقر عدة نقرات ليستدعي إحدى صور "نور" التي قام بسرقتها من على حسابها الشخصي على موقع التواصـل الإجتماعي، تقف بمرح واضـعة إحدى يديها على خصـرها وتميل رأسـها بمرح و شـعرها الناعم منسدل على كتفها، تشرق شمس إبتسامتها على ثغرها تكشف عن أسنان لؤلؤية متراصـة ناصـعة البياض، بيدها الأخرى تمسـك بهاتف فخم جداً من أحدث إصـدارات شـركة ما يحمل على ظهره تفاحة فضـية اللون، قرب "يوسـف" الصـورة على رمز التفاحة ليجد إنعكاس واضـح لتؤامتها، بالتأكيد هي تؤامتها فالأثنتان ذات القامة و ذات لون الشـــعر و ذات الملابس و الوجهه مشـــوش إثر التشـــويش الناتج عن التقريب و بالتأكيد السطح الفضي للشعار ليس من زجاج مرآة! سمع طرقات على الباب و دلف أحد الممرضين يخبره بوصول الحالات الجديدة المحولة من النيابة، دفن سـيجارته بمنفضـة السـجائر و نفث أخر دخانها ونهض متثاقلاً بعد أن إلتقط من الممرض ملفات الحالات الواردة و أخذ يقلب فيها و هو يتثائب بكســل، فتح الملف الثالث ليدب النشـاط بجسـده و تتحفز خلاياه و تنفجر غدته بالأدرنالين مما أدى لإتسـاع حدقتيه و جذب إنتباهه و هو يقرأ إسـم الحالة الجديدة " رنا هشـام مغاوري عبد الحليم" هرع راكضـاً للعنبر ليتأكد مما قفز في رأســه و في طريقه أسقط ملفات و أكواب و محاقن من يدي الممرضين إثر إصتدامه بهم ثم صياحه فيهم، وصل للعنبر و ضـغط أسـنانه و ململ قدمه إنتظارحتى يفتح العسكري باب العنبر، إنفتح المزلاج فقفز للداخل ماسـحاً بعينه أسرّة العنبر متحاشياً النظر للسجناء و المرضـى الذين تنبهت حواسسهم و راقبته أعينهم حتى وجدها، نائمة في سـريرها بوضـع الجنين متدثرة بملائة كانت بيضـاء وقت ما، هامدة كجثة، إقترب منها قليلاً ليجد عينيها مفتوحتان شـاخصـتان لا تنتبهان لأي أحداث خارجية، إعترض جسده بصـرها فلم تتحرك عينيها و كأنها في عالم مختلف، جلس القرفصاء حتى واجه وجهه وجهها فأبتسم لتدبره الشبه الواضح بينها و بين تؤامتها، تكلم معها و ناداها بدون أدنى إشـــارة منها تدل على أنها مازالت حية، يأس منها و خرج من العنبر و هو يأمر الممرضـين بنقلها للعزل و تبديل نوع طعامها و صـاح بأسـماء بعض الأدوية و مواعيدها لممرضـة نحيفة كانت تمصـمص شـفتيها منه منذ أقل من ثانية، هرع الكل بتفيذ أوامر "يوسـف" أما هو فصـفع باب مكتبه و ألقى بجسده على المقعد ممسكاً برأسه، فتح عينه و حرك يده بإتجاه علبة سجائره، أشعل لفافته و هو ينادى على الساعي بحروف تطاير معها الدخان من فمه، أخبره بأمر شايه الثقيل و أشعل لفافة تبغ أخرى و أمسك بالملف يقرأ و آلاف الإحتمالات تقفز بعقله و ألاف الظنون تلعب برأسه و آلاف المشاعر تهتك قلبه، وضـع السـاعي أكوابه على المكتب و إنصـرف صـامتاً لمنظر دكتور "يوسف" الذي صـب إهتمامه على الأوراق و لم يرفع ناظريه للسـاعي مطلقاً، ألقى "يوسـف" بالملف و زفر محاولاً طرد الغصـة التي يشـعر بها ليشـعل ســيجارته الثالثة في الموقف و الثامنة هذا اليوم ثم يمســك بالكوب غير عابئ ليديه التان صـــرختا ألماً من

سخونة زجاج الكوب، رشف عدة رشفات صغيرة و نهض ليتمشى في المكتب و هو يتحدث بصوت عال... هرج، مرج، أصوات صراخ و أقداماً تركض ثم ممرض يقتحم المكتب صائحاً:

- إلحق المريضة الجديدة يا دكتور.

***

دفعت الباب ليعثره شي ما، دفعته ببطء و دلفت للشقة لتجد الكارثة، التفسيرالوحيد المنطقي بالنسبة لها هوأن إعصاراً ضرب المكان، بذهول تنقلت بين الحطام و هي ترمق كل ما حدث، تذكرت فهرعت لغرفتها، وجدتها على حالها فتنفست الصعداء و أسرعت تنقل مقعدها امام ضلفة الدولاب، قفزت إليه و مدت يدها تبحث و تبحث وتبحث حتى تحسست شئ ما، إبتسمت و سحبت الزجاجة ببطء و وثبت بها إلى فراشها و ألقت بجسدها عليه قبّلت الزجاجة و إبتسمت و هي ترمقها فتحت غطائها، شمت رائحتها الكريهة و تشنج وجهها على ذلك لكنها كانت سعيدة، وضعت فم الزجاجة على شفتيها و أغمضت عينيها و رفعت الزجاجة في الهواء لينسكب ما بها من حمم داخل مريئها مباشرة، أبعدت الزجاجة عنها و تشنجت ملامحها و تقززت و كادت أن تعييد ما إبتلعته مع ما تحمله معدتها لكنها تماسكت بصعوبة، ثوان و تسرب الخدر لعقلها، صمتت الأشياء الصامتة من حولها، و الأهم من ذلك صمتت رأسها، تنفست، تنهدت، أغمضت عينيها و الخدر يزداد إحكاما بعقلها، أرخت أعصابها و إبتسمت في إستمتاع و فردت جسدها على فراشها مستمتعة بملمسه، فتحت عينيها و مازالت محتفظة بإبتسامتها ثم أغمضت و ذهبت في سبات عميق.. جداً...

صداع يشطر رأسها، كريهاً مذاق فمها، هبوط خفيف في دورتها الدموية، و الأصعب هو ذلك التمزق ببطنها، فتحت عينيها فشعرت بحرقة أشبه بأحد يطمس لهيب سيجارته بهما، إرتعشت عينيها، اللعنة على صداع الكحول، ظلت في فراشها ساكنة لمدة تعلم انها طويلة لكن لا تعلمها، تحاملت على ألمها و نهضت، إستلت شماعة ملابس من خزانة ملابسها و إتجهت للإستحمام بماء بارد، وقفت أمام المرآة المكسورة و شعرها يقطر ماءاً مما زاد شكلها جمالاً و سحراً بشرتها ناصعة البياض و عينيها الواسعتين و مقلتيها الورديتين جعلوا منها حورية من الجنة، مشطت شعرها و وضعت بعض المساحيق و تعطرت و تجرعت قليلاً من الكحول مما يسمح لها أن تحتفظ بوعيها و في ذات الوقت يخدر جزء ما بعقلها لا تريد تنشيطه أبداً، تقافزت بين الحطام غادرت بعد أن أحكمت إغلاق الباب، خرجت من بوابة المنزل و توقفت عند أحد ماكينات الصرف الآلي تسحب مبلغاً كبيراً و همت بالمغادرة، سمعت بوق سيارة خلفها فإبتعدت عن الطريق لتسمح للسائق بالعبور، تمشت السيارة ببطء بجانبها و أخرج السائق رأسه من النافذة قائلاً:

- نور...

إلتفتت "نور" للسائق ليشرأب وجهها قائلة:

- تصدق بالله كنت لسة جايالكوا...

لفت حول السيارة السوداء ففتحت الباب الأمامي و دلفت للداخل قائلة:

- إنتوا فيكوا حاجة لله على فكرة.

- على فكرة أحسن من على سهوة.

- أفندم!

فضحك ضحكة عالية قائلاً:

- لا دي ألشة كانت بيني و بين رنا، تحبي تروحي مكان الأول؟

- لا على المكتب على طول.. إنت أصلاً كنت بتعمل إيه هنا يا خالد...!

***

(7)

ركل باب العزل بغضب و هو يركض للداخل، الكثير من التمريض من بالعزل منهم من حولها و منهم من تلصق ظهرها بالحائط و هي ترتل بعض آيات القرآن بسرعة 500 كلمة في الثانية و منهن من تصلب على جسدها خوفاً فصرخ فيهم قائلا:

- إطلعوا برة كلكوا معادا ياسمين..

إنسحب الكل بخوف خارج العزل ليراها، ترتجف كملموسة, يهتز جسدها كله في عنف، عينيها ترتعشان، سائل أبيض تسرب من جانب فمها و يخرج منها صوت غليظ يئن بصوت مرعب قال للممرضة:

- إديها تجريتول 200 و وقفي النوبة بسرعة و أنا هبعت حد يجيب أي حاجة مسكرة عشان الهبوط.

لم يجد رداً فألتفت ليجدها ترتجف خوفاً و قد ألصقت ظهرها بالباب فصرخ فيها:

- إيه يا هانم مش عارفة نوبة الصرع!!!

- يا دكتور بس..

قال مقاطعاً:

- نوبة صرع و غيبوبة سكر إيه.. إنتي دارسة تمريض ولا جاية مع حد!!

- و الله يا دكتور أنا...

صاح فيها بغضب:

- إخلصـــــــــي.

هرعت الممرضــة للخارج فأمسـك "خالد" بيد "رنا" و بيده الأخري عدل من وضــع رأســها و أخذ يضــرب ضــربات خفيفة على جبهتها حتى عادت ياسـمين راكضــة و بيدها ما أمرها به و الكثير من حلوى الأطفال و العصــائر، فض "يوســف" حبة الدواء من الشــريط و فتح فمها عنوة و دس به الدواء ثم فض علبة عصــير بماصة و ووضعها في فمها و ضغط برفق حتى يتسرب السائل إلى بلعومها، أمسك رقبتها بكلتا يديه واضعاً أصابعه خلف رأسها حتى سكنت، ظل ممسكاً بها حتى سمع أنينها فأراح رقبتها على الفراش، أمر "ياسمين" بغيير بعض الأدوية و بقياس دوري لمستوى السكر في الدم و تركها معها في الغرفة تبدل المحاليل و غادر إلى مكتبه، دلف للمكتب بعد أن أحكم إغلاق الباب و ألقى بجســـده على المقعد رافعاً قدميه على المكتب بعد أن أمسك بهاتفه، فتح موقع التواصل الإجتماعي و دخل حساب "نور" رمق صورتها و حملق بها متحايشاً تصادم بصره مع مفاتنها ثم أرسل لها طلب صداقة و فتح صندوق الرسائل بينهما حاول كتابة كل ما يحمله قلبه لها لكن عجزت أصــابعه عن الكتابة، وجد نفســه يخبرها أن "رنا" في غرب و أنه المسئول عن حالتها إذا أرادت الإطمئنان... ألقى هاتفه برفق على المكتب و أمال رأه للخلف و أغمض عينيه محاولاً السقوط في النوم قبل أن يسقطه قِلَّتُه.

***

- لأ مش فاهمة يعني "رنا" متهمة بجريمتين قتل؟!

قالتها "نور" لـ"محروس" الذي طأطأ رأسه فرد قائلاً:

- للأسف يا نور القضية التانية مقفولة و الأدلة كلها ضدها.

- و العمل؟

قال خالد:

- يا نعرف مين اللي عمل كدة يا لازم تطلع مجنونة.

نظرت له "نور" بغضب شديد فأنتفض "خالد" و "محروس" من مكانهما محاولين تهدئتها، تقطعت أنفاسها و توترت أطرافها و جرت الدماء بعروقها و إندفعت أطنان الأدرنالين في مجرى دمها فدفعت محروس ليسقط أرضـــاً و إندفعت بإتجاه خالد تلكمه في وجهه عدة لكمات نجح في صـــد القليل منها حتى أدمت وجهه و إنفجرت الدماء من أنفه قبل أن يقيد حركتها جميع العاملين بالمكتب و يسـحبوها و هي تصـرخ و تتلوى بين أيديهم، أمرهم محروس أن ينزلوها إلى سيارته و سيلحق بهم بعد الإطمئنان على خالد..

دفعوها بداخل الســيارة و أحكموا إغلاق الباب، ظلت تضـــرب بيدها على الزجاج حتى هدئت ، و ما إن هدأت.. بكت..

فتح "محروس" الباب و دلف إلى مقعد الســائق و أدار المحرك.. ظل ماشـياً على ضـفاف أحد فروع النيل حتى طلبت منه "نور" أن يتوقف فصـرخت إطارات السـيارة على الأسـفلت فتحت الباب و خرجت بهدوء و تمشت بجانب الطريق وسط ذهول "محروس" الذي ما إن إستوعب ما يدور برأسها حتى قفز من السيارة و ركض بإجهاد المسنين حتى وصل لها و أمسكها من ذراعها فتوقفت دون أن تلتفت، طلب منها أن تعود معه فحاولت إكمال طريقها لولا يده التي إعتصرت ذراعها فقال:

- متحمليش نفسك نتيجة حاجة ملكيش دعوة بيها.

لم تلتفت و لم ترد كأنها لم تسمعه فقال:

- كل دة مش ذنبك، الدنيا هي اللي بنت كلب ومصرة تحملك أكتر من طاقتك...

أصابه الشك في أنها لم تسمعه فقال:

- أنا هطلع رنا، مش هتتسجن و مش هتتحجز في مستشفى..

- ...

- وعد.

- ...

- على فكرة إنتي ملكيش ذنب، ابن الكلب هو اللي إســتفزك، أنا لما أشــوفه في البيت هعرف أتصــرف معاه.

هنا إلتفتت و بين دمعها الصامتة قالت:

- دة إبنك، أنا كنت هموت إبنك!

إبتسم "محروس" بحنان قائلاً:

- و إنتي بنتي يا نور، و رنا بنتي و أنا مش هسيبكوا يحصلكوا حاجة.

قالت بغضب حقيقي:

- لحد إمتى؟ هتفضلوا مستحمليني لحد إمتى؟ أنا بتعصب بسرعة و بقلب الدنيا و و دايماً مخنوقة و دايماً زعلانة و دايماً مخنوقة و مزاجي وحش و دايماً بتعب و تعابة كل اللي حواليا، حملي تقيل أوي عالكل حتى أختي اللي هي أختي شوف وصلت لفين بسببي، تعالى نتكلم بصراحة يا أونكل، أنا مصدر ضرر لكل اللي بيحبونى.

- بس إنتي مش حمل، إنتي مسئولة مننا.. مسئولية بإختيارنا عشان بنحبك، عمر ما حد فينا شافك حمل علينا، بالعكس إحنا بنعمل كل اللي نقدر و منقدرش عليه عشان متكونيش حمل على نفسك و منكونش إحنا بنزود الحمل عليكي.. إفهمي.

- شوف أختي و إبنك و الله أعلم اللي مات دة بسببي ولا لا و حتى غنت حصل فضيحة في مكتبك ة كمان سيبت شغلك و وقارك و نازل تجري ورايا بليل في الشارع.

إبتسم حين جاء المعنى الذي لا تقصده "نور" بكل تأكيد فكلامها يحمل معنيين برغم أنها لا تقصد المعنى الآخر مطلقاً، لكنه إبتسم بثقةوحنان و رفع حاجبه الأيسر و هو يقول:

- تاكلي لب!

***

دفع باب العزل فإلتقطت أنفه رائحة يعرفها جيداً، يبدو أن حتى المعدة الفارغة لن تحول المرء من إفراغ شيئاً كريها من بلعومه، دخل ليجد ياسمين تمسك بقطعة قماش بالية مبللة و تمسح الأرض بإنهماك، و رآها، يبدو أن وجود تؤام في بطن واحدة يمنع الراحة لدرجة أن التؤام يظل حياته بأكملها ينام كالجنين، أو ربما مريحة ومطمئنة لدرجة إستدعائها عند غياب الآخر، أيقظها ففتحت عينيها منتبهة، هي لم تكن نائمة إذاً، طلب منها أن تعتدل لأنه يرغب في الحديث معها لتقول:

- بس يلا.

تنحنح و هو ينظر لياسمين التي نظرت له على إستحياء و سرعان ما بددت نظرها فأعاد بصره إلى "رنا" التي أغلقت عينيها فتنحنحمرةأخرى و قال:

- أستاذة رنا أنا دكتور يوسف أخصائي نفسية و عقلية ولازم أتكلم معاكي عشان التقرير، ممكن نعمل دة.

فتحت إحدى عينيها و من ثم اغلقتها و تقلبت في فراشها قائلة:

- روح شاطر هناك مع إلعب أسد يلا.

إنفجرت ياسمين ضحكاً فألقاها يوسف بنظرة جعلتها تطأطأ رأسها قائلة:

- أسفة يا دكتور.

فقال بغضب:

- إنتي بتضحكي على إيه أصلا دي مصيبة.

كررت إعتذارها فكر سؤاله قائلاً:

- لا فهميني بجد بتضحكي على إيه؟

- أصل يا دكتور.. أصل.. حسيت إنها بتلاعبك رتب.

و إبتســـمت ثم إعتذرت ثم هرعت بالخروج قبل أن تنفجر ضـــحكاً مجدداً لتتركه مع فتاة أبعد ما تكون عن العقل، ظل يفكر قليلاً قبل أن يناديها مرة أخرى لتقول:

- شعيتين مامتك يا عربوص العكر إنت شمسك واطية وقمرك ساطع.

ضـيق عينيه و هز رأســه ثم هب واقفاً و خرج بإنفعال و عندما دلف لمكتبه ركل الباب بالعنف و ظل يدور في الغرفة و يدور ثم إستند بيده على المكتب و بالثانية أخرج لفافة تبغ و دسـها بين أسنانه و أمسك بالقداحة و أشعل بها النيران ثم ألقى بها بغضب فسقطت متهشمة، صاح بإسم الساعي و طلب منه شاياً ثقيلاً و فنجان قهوة مظبوط المذاق، أدار الساعي بصره في الغرفة بحثاً عن ضيفه الثاني طالب القهوة لينتفض على صياح "يوسـف" فهرع لخارج المكتب.. ضـرب "يوسـف" بيده على رأسـه عدة مرات و هتك أسـنانه من الضـغط عليها ثم ضرب الحائط بقدمه عدة مرات و هو يصيح في جزع حتى صرخت قدمه و كاد أن يصرخ الحائط ألماً، إنفتح الباب و دخل الساعي ترك ما يحمل على المكتب و هم أن يغادر قبل أن يستوقفه "يوسف" مد يده له بالمال و قال بحزم:

- هاتلي سجاير.

تردد الساعي و هو يمد يده لكنه تناول الورقة ذات أكبر فئة و تمتم:

- ديفادوف أبيض.

و كاد أن يغادر ليقول له "يوسف":

- أحمر.

- أفندم!

- ديفادوف أحمر.

***

جلســـت على الفراش الوحيد الذي يصـــلح للجلوس عليه في هذه الأنقاض، تناولت علبة المحمول الجديد بجانبها، فضـت محتويات العلبة فظهر الهاتف البراق، وضـعت به شـريحة الإتصـال و قامت بتشـغيله، دقائق مرت عن سـياسـات الشـركة و إدخال البريد الإليكتروني و تنزيل بعض التطبيقات و إسـتيرات أرقام الهاتف من أحد المواقع المخصصة لذلك و أصبح الهاتف جاهزاً، دق جرس الباب فنهضت و تقافزت على الأنقاض حتى وصـلت و فتحت الباب، مد يده عامل التوصـيل بوجبة سـاخنة و أخبرها ثمنها بإبتسـامة بلهاء فإسـتاذنت منه و تقافزت إلى غرفتها ذهاباً و إياباً، فوجدت خليط من الذعر و الذهول مرتســـماً على وجهه فرســـمت إبتسامة ساذجة على شفتيها و هي تقول:

- لأ دة إحنا بنجدد.

و ناولته ما طلب و زادت فناولها وجبتها الساخنة و غادر، تقافزت مجدداً حتى وصلت لفراشها، أخرجت محتويات الصندوق الأحمر و أخذت تأكل في إهمال و هي تعبث في هاتفها الجديد..

فغر فاها و عندما مشت عينيها على الأحرف في موقع ما لجريدة ما، فقد كتب بخط عريض "جريمتي قتل بين تؤامتين" يا لألعاب الصحافة الرخيصة، أخذت تقرأ تفاصيل الخبر فنبتت دمعتان ساخنتان في مقلتيها جاهدت لتبقيهم لكن إحداهن قررت التحرر فقفزت من عينها سالكة طريقاً سريعاً على وجهها، مسحت دمعتها و نجحت في تبديد الأخرى، ألقت بالهاتف و نهضت كالملسوعة تبحث في أرجاء الغرفة، تبحث و تنقب و تخمش و تلقي حتى وجددها فارغة، رفعت الزجاجة فوجدتها نظيفة تماماً، هي متاكدة أنها لم تنهها، و متأكدة أنها لم تُسكَب، هرعت لهاتفها و قامت بتنزيل إحدى التطبيقات لمتجر إلكتروني للخمور، طلبت الكثير من الكحول حتى أن أحداً قام بالإتصال بها لتأكيد الطلب فأكدت طلبها.. حاولت أن تشغل عقلها بأي شئ حتى حضور كحولها فدفنت نفسها أسفل المياة الساخنة و ظلت تهز رأسها بحركة عصبية تلقائية لتطرد ما بها من أفكار حتى سمعت دقات الجرس... لفت نفسها بالمناشف و خرجت بإتجاه الباب، و شعرها تتقطر منه المياة، ستفتح من خلف الباب و تأخذ ما يحمله عامل التوصيل ثم تغلق الباب فقد دفعت التكلفة إليكترونياً، فتحت الباب و مدت يدها لكن لا شئ، نادت على العامل و أخبرته أن يناولها ما أتى به فلم تجد إجابة، مدت رأسها عبر الباب لتجده واقف أمامها، لم يشيح ببصره و لم يعتذر بل ظل محملقاً فيها، وقفت بجسدها أمام الباب بمناشفها و قطراتها المتساقطة فقال في تبجح:

- أستاذة نور تسمحيلي أتكلم معاكي شوية، أنا...

قاطعته بحزم:

- أحمد عبد الحي رئيس النيابة..

- بالظبط ، أنا...

- حضرتك لو مخدتش بالك فأسمحلي ألفت نظرك إن الوقت مش مناسب.

- أيوة أنا ممكن أستناكي لحد ما تخلصي براحتك.

- يا أستاذ ميصحش أنا مقدرة منصب حضرتك بس أنا بنت و قاعدة لواحدي وكمان إنت شايف المنظر اللي أنا فيه و شايف منظر الشقة.

إقتحم حديثهم رجل يحمل صندوق على ظهره يرتدي قميص مرسوم عليه شعار المتجر الإليكتروني فسأل "أحمد":

- دي شقة أستاذة نور هشام؟

إبتسم "أحمد بخبث و قال و هو يهز رأسه:

- أيوة هي:

و تناول ما بيد العامل و ناوله لها قائلاً:

- إنتي متأكدة إنك لواحدك؟

تناوولت منه الصندق و ألقت به على الركام و هي تصيح بغضب:

- أيوة قولتلك لواحدي و لو في اي حديث رسـمي يبقى الأفضـل يكون في مكان رسـمي غير كدة معنديش أي حاجة أقولها.

إبتسم بثقة و خرجت كلماته تقطر خبثاً حميداً و هو يقول:

- بس مينفعش يكون في حديث رسمي مع شخص غير موجود رسمياً.

تبدلت ملامح "نور" لكن سرعان ما عادت لملامح الثقة و قالت:

- حضرتك رجل قانون ممكن تقولي في إيه من غير لف و دوران!

هز رأسه بثقة و قال:

- أنا هنا عشان اتكلم مع أختك.

قالت بنفاذ صبر حقيقي:

- رنا في 8 غرب و حضرتك اللي أمرت بكدة، ممكن تفهمني بقى في إيه بالظبط؟

مط شفتيه و هو يقول:

- ماشـــي، رنا في 8 غرب.. أو ممكن تكون رنا اللي هنا و مش رنا اللي في 8 غرب أياً كان بقـأنا عايز أكلم اللي هنا...

- أنا مش فاهمة إنت بتتكلم عن إيه و فعلاً لازم تمشي دلوقتي الوقت غير مناسب خالص لأي كلام.

فصاح فيها بغضب و نفاذ صبر:

- أنا هنا عشان أتكلم مع أختك التالتة، تؤام رنا...

***

(8)

"منذ يومين"

أدار "احمد" المفتاح في المزلاج فأنفتح الباب و إلتقطت أذنه صوت إحدى المسرحيات الشهيرة ينبعث من شاشة العرض بغرفة المعيشة، بهدوء النسيم كلص محترف دخل ليجد زوجته جالسة تتابع المسرحية و بين يديها "أسيل"، تحرك بهدوء و وقف خلف الأريكة فبكت "اسيل"، حاولت "فاطمة" أن تسكت "اسيل" بشتى الطرق لكن بلا جدوى، رفعتها بيديها أمام وجهها و قالت بحنان و هي تلاعبها:

- أنتي عايزة بابا، أنتي بابا وحشك، الدنيا شاغلة بابا عنك، إنتي قمر، إنتي عسل ، إنتي سكر...

أشرقت ضحكة "أسيل" و اغمضت عينيها و مدت لسانها إلى قليلاً فقالت "فاطمة":

- إنتي بتطمني بسيرة بابا، واضح إن بناته الإتنين بيطمنه بسيرته..

إبتسم بحب حقيقي و ندم على تضييع لحظات كهذه في العمل ليسمع زوجته تقول لـ"اسيل" :

- بس هو يبطل يتسحب و يتجسس علي بناته كدة و يضحك في سره...

رفع "أحمد" حاجبيه ذهولاً فقالت:

- أنا شايلة بنتك مش هعرف أبص لك، لف و تعالى لي يا أستاذ.

إرتفعت ضحكته و إلتف حول الأريكة الفخمة موجهاً حديثه لـ"أسيل" قائلاً:

- مامي بتقفش ولادها كلهم يا ساسو.

- مهي ماما برضه يا إستاذ بابا.

تعالت ضحكاته و هو يمد يده لها فناولته "أسيل" و نهضت لتحضر طاولة الطعام، فهو يصر على تناول الطعام من يدها و يرفض تناول أطعمة المطاعم رغم عشقه لها قبل الزواج، منهك كعامل مناجم إنتهى وردية عمله للتو برغم ذلك ظل يلاعب "أسيل" بروح طفل، تبادل المزاح و النكات مع زوجته و هي تأتي

ذهاباً و إياباً حتى أنهت إحضـار الطعام، جلسـوا على طاولة الطعام و بدأوا تناوله و "فاطمة" تحمل "أسـيل" بيد و تأكل بالأخرى، أثنى الزوج على طعام زوجته و نهض ليغســـل يديه ثم ألقى بجســـده على الأريكة و أصـدر تآوه أخرج به من صـدره تعب و إنهاك فاق الحد، أغمض عينيه واضـعاً يده على جبهته و إبهامه و وسطاه على عينيه كأنه يحكم إغلاق جفونه، أحضرت "فاطمة" أكواب الشاي و وضعتها برفق على المنضدة الصـغيرة التي تحول بين الأريكة و الشـاشـة، جلسـت بجانبه بحذر كي لا توقظه من قيلولته الصـغيرة لكنها وجدته يقول:

- معلش يا حبيبي أنا عارف إني مقصـر في البيت و إن الحمل زاد عليكي، أكل و شـغل بيت و أسـيل و تحضير العرض الجاي بس و الله أنا..

حركت سبابتها حتى شفتيه تسد مخارج حروفه و هي تقول:

- شششش.. بلاش الكلام دة، إنت بس ركز في شغلك أنا عارفة إنك في قضية صعبة، و إنت قدها و هتحلها و هتكســـر الدنيا زي ما إنت معودنا، و يا ســـيدي ملكش دعوة إنت بالبيت كل اللي عليك لما تيجي تلاقيني تعبانة إنك تاخدني في حضنك.

قالت جملتها الأخيرة و هي ترفع ذراعه بكلتا يديها و تتحرك لتلتصـــق بزوجها واضـــعة يده على كتفها و واضعة رأسها على صدره ثم أمسكت بكلتا يديها الصغيرتين يده الكبيرة الأخرى و أمسكت بكفه ثم أغمضت عينيها و عدلت من وضع جسدها وهي تقول:

- قولي بحبك يا توتا.

إبتسم و قبّل رأسها ثم قال:

- أنا بعشقـــك يا توتا، بعشقك يا حبيبي.

فقالت بصوت غلبه النعاس:

- بس بقى سيبني أنام و متقعدتش تفرك عشان مقلقش كل شوية.

إرتفعت ضحكته فقالت:

- بحبك يادي الواد إنت.

و غفت بين أضـلعه، ظل سـاكناً يراقب أنفاسـها المحببة حتى تأكد عقله أنها في سـباتها فذهب في شـروده المزمن، تذكر حبهم و صـراعهم الظروف و المشـاكل و القدر سـوياً، ثم محاربتهم صـعوبات البيت و الحياة الزوجية سـوياً، ثم محاربتهم لتأخر الإنجاب سـوياً و ها هم قد مروا بكل هذا و مازالوا صـامدون، فقط لأنهم سوياً دائماً.

(دي نور أختي المجنونة)

(هي لابسة نفس اللبس)

(هي اللي قتلت طارق)

يقسم انه غفى للحظات أو ربما لثانية واحدة فسمع صوت "رنا" تصرخ بتلك الكلمات، فشعت نتيجة في راسه، هل هذا ممكن فعلاً؟ الفتاتان تؤام لكنك إذا رأيتهم يبدو لك أنهم أختان بفارق 3 سنوات على الأقل، كما أنهن لسن متطابقان ، يعلم أن التؤام المتطابق نادر الحدوث لكن... ماذا لو أن هناك تؤام من "رنا"؟ تؤام متطابق فعلاً، ألم تكون "رنا" عاقلة و عقلها يزن بلد! ماذا حدث لها إذا؟ يبدو أن المجنونة بالمصحة و تؤامتها العاقلة مرتكبة الجرائم بالخارج.. تؤامتها الحقيقية!

حسناً يجب أن يتأكد تمام التأكد قبل القيام بأي شئ، إذا كان هناك تؤام غير "نور" فمن الطبيعي أن يكون لهشام مغاوري ثلاثة بنات حتى غذا صدر شهادة وفاة لإحداهن.. لقد كان قائداً في جهاز الشرطة فمن السهل عليه طمس ميلاد إبنة له كأنها لم تولد مطلقاً، لكن دائماً هناك خطأ ما.. كما أنه لا يظن أن "رنا" قتلت شاباً في غرفتها ثم نقلته لشقته ثم عادت لشقتها لتنام بهدوء نوماً عميق.. إحتمال منطقي لكن مجنون، حدثه البوليسي يخبره انه على صواب، ألم يكن صائباً منذ البداية عندما ساوره الشك حول التؤام!

"أسيل" تصرخ..

"فاطمة" سوف تهتم بالأمر..

يجب أن يستمر في نومه ليقبض على القاتلة الثالثة.. ترا ما إسمها..؟

صراخ "أسيل" مستمر..

لماذا لم تهتم "فاطمة" بالامر..؟

مهلاً..

أين "فاطمة"؟

نعم إنها نائمة على صدره..

إذا هي بأمان..

حسناً فليذهب العالم إلى الجحيم فحبيبته بأمان..

من الذي يصرخ..؟

لماذا يصر شئ ما على ألا يهنأ بنومه..؟

مهلاً..

تلك هي "أسيل"...

إنتفض في مكانه ففزعت زوجته، أمسك بيدها و طمئنها ببضع كلمات و أخبرها انه سيهتم بأمر الإبنة.. ذهب مسرعاً لسريرها الصغير ليجدها تصرخ و قد أغلقت عينيها و تحرك يديها فرفعها و إحتضنها قائلاً:

- بس يا ساسو بس يا حبيبة بابا، بابا هنا أهوه.. بابا وحش و سايب ساسو لواحدها..بس روحي بس..

ظل يلاعبها قليلاً حتى هدأت و نامت و رأسها الصغير على صدره فتحرك و وضعها في سريرها الصغير و إتجه لإحدى الغرف ممسكاً بهاتفه.. ثوان من طلب المكالمة ثم قال:

- بقولك إيه يا عماد عايز معلومات بمنتهى الدقة على وجه السرعة...

***

إن كل شئ ينفي الفكرة، مجرد تؤام لضابط شريف عصبي قُتِل في أحد الكامئن، لكن حدسه يخبره عكس ذلك، و نادراً ما يخطئ حدسه خاصة إنكان إصراره فاق المنطق و الأدلة، دلف إلى مدخل العمارة الفخمة، تحاشى ركوب المصعد و ركض على درجات السلم برشاقة و ليونة، وقف أمام الباب و إرتعشت يداه و فقد الثقة بنفسه و بحدسه لجزء من الثانية لكن سرعان ما إستعاد ثقطه و دق جرس الباب.. دقائق مرت ولا شئ! عاود ليدق جرس الباب فسمع حركة بالداخل ثم إنفتح الباب!

يد أنثوية إمتدت من خلف الباب!

سرعان ما فهم أن من بالداخل ينتظر عامل توصيل و إرتبك رغم ذلك، ترا لما من بالداخل لا تريد أن يراها أحد.. إلتمعت عينه للفكرة.. بالطبع إن كانت مصـــر كلها تعلم أنك بداخل 8 غرب فمن الطبيعي أن تحرص ألا يشاهدك أحد.. لكن خيب ظنه ما رآه فـــ"نور" مدت رأسها من خلف الباب و شعرها يقطر ماءاً.. حسناً يبدو أنها...!

إستغفر ربه العديد و العديد من المرات، لكن لابد ألا يظهر هذا.. لابد أن يظهر صلداً حتى إذا خرجت من خلف الباب و وقفت أمامه بكامل جسدها.. فإذا أظهر الإحراج أو وارى وجهه ستستغل ذلك بكل تأكيد، يجب أن يظهر أنه لا فارق، يجب أن يظهر صـــلداً بارد المشـــاعر خاوي تماماً من أي تعبير.. خرجت من خلف الباب فقفذ قلبه من جسده خوفاً مما قد يراه لكن حمداً لله.. كان جسدها محاط بالمناشف كقطعة سجق بداخل رغيف خبز فرنسي..

- أستاذة نور تسمحيلي أتكلم معاكي شوية، أنا..

قاطعته بحزم:

- أحمد عبد الحي رئيس النيابة...

- بالظبط ، أنا...

- حضرتك لو مخدتش بالك فأسمحلي ألفت نظرك إن الوقت مش مناسب.

كيف لها أن تحدثه بتلك اللغة، هل لأنها إبنة هذا الذي يدعوا أنه شـــهيد؟ ألا تعلم أنه و حتى في حياته كان منصـــبه أقل قدراً من النيابة؟ أكمل الحديث معها حتى وجد عامل توصـــيل من أحد المتاجر الشـــهيرة لبيع الخمور جاء لها بصندوق كبير بالتأكيد ليس لفرد واحد..حاول لفت نظرها أنه يعرف سرهم الصغير فإدعت الجهل بإحترافية تشكك النائب العام نفسه بأنه أخطأ.. لكن ليس "أحمد عبد الحي" ظلت تستفزه حتى إنفجر في وجهها قاذفاً ما عنده..

خيم الصـمت للحظات طلت منها تعابير وجه من "نور" لم يفهمها حتى بخبرته.. ذهول، أو ربما صـدمة، أو خوف، بل يمكن أن يكون عدم إســتيعاب، او صـــمت محدق لمحاولة فهم عن جهل حقيقي.. لكن في كل الأحوال قد نجحت خطته فقال لها:

- أنا دلوقتي عايز أدخل و أقعد مع أختك على ما تكملي الشاور بتاعك و تلبسي.

بملامح غلب عليهاالإنكسار أو الضعف أو ربما الإستسلام قالت:

- و إن رفضت؟

- هضطر أدخل أدور عليها بنفسي..

- معاك إذن نيابة؟

تعالت ضـــحكاته حتى دمعت عيناه، لابد أنها تمزح.. بالتأكيد تمزح.. لكن من تعابير وجهها يبدو أنها جادة.. تمالك نفسه و سيطر على ضحكاته و قال:

- أنا النيابة ذات نفسها يا أستاذة نور.

بنفس الجمود ردت قائلة:

- لو إنت النائب العام بذات نفسـه ملكش حق تدخل االبيت و تدور فيه من غير إذن نيابة صـدر و له تاريخ صـــدور و أكيد تاريخ صـــدوره قبل وقت التفتيش.. غير كدة هيبقى إســمه إقتحام.. و دة يعاقب عليه القانون حتى واحد في منصبك.

تباً لها.. تباً لمحروس.. تباً لكلية الحقوق، إنها تفهم القانون بشـــكل مبالغ فيه.. حســناً فهذه المحاولة قد بائت بالفشـل وسـوف يغادر و قد كشـف لهم عن علمه بسـرهم و بالتأكيد سـوف يتخذون حذرهم الشـديد.. كاد أن يعتذر إعتذار صوري و يهم بالمغادرة، لكن...

شئ ما قد سقط بالداخل يبدو أن أحد صدم شئ ما دون قصد و بالتأكيد أن هذا الشخص هو...

دفعها و إندفع بداخل الشـــقة يفتش و يفتش و يفتش و يقلب الغرف رأســاً على عقب لكن بلا جدوى.. قد يكون شئ ما من الحطام سقط أو إنزلق فأصدر هذا الصوت.. يبدو أنه تسرع مرة اخرى. إلتفت معتذر ليجد نور تلقي بالمزهرية عليه ثم أمسـكت بمقص كبير و ألقته عليه و هي تصـرخ، ألقته بكل ما طالته يدها و قد طالت الكثير، البعض أصابه و البعض أخطأه فقالت بصراخها:

- إنت عايز مننا إيـــــــــــه! ما تحل عنا يا أخي إحنا ملناش دعـــــوة، أنا وأختي عايشين في حالنا، و الله عايشين في حالنا..

و سقطت على ركبتيها متأطأة الرأس و هي تردد بضعف بينما نبتت دموع من أعينها:

- و الله عايشين في حالنا.. و الله عايشين في حالنا...

و أخذت تبكي بين كلماتها فتسحب "أحمد" و خرج و تركها دون أي تأنيب ضمير.. دلف لسيارته و إندفه بها في الطرق حتى وصـل لجراج المنزل، دلف إلى شـقته فأسـتقبلته "فاطمة" بملامح الذعر و هي تسـأله عما حدث له ليندفع هو في أحضـــانها، برغم أنها تريد أن تفهم و ترغب بأن يتكلم و أن يطمئنها إلا أنها تعلم أنه

وقت سـئ للأسـتفسـار فقط عليها أن تضـمه، هي إبنته في كل وقت لكنها أماً له في مثل هذه المواقف، إبتعد قليلاً ليقول:

- أنا غالباً بوظت الدنيا..

بملامح هادئة قالت:

- طب إهدى بس و صلي عالنبي، هقوم أعملك ليمون.

و بدون إنتظار رد منه نهضـــت متجهة للمطبخ تعد له كوباً من عصـــير الليمون، بينما و هو ظل يفكر.. إذا قدمت بلاغاً ضده فبالتأكيد سيكون في مشكلة، هو لا يقدر على إتخاذ أية إجراءات لمهاجمتها له، كان يمكنها أن تقتله و تفلت من العقاب بحجة دفاع عن النفس او عن عرضـــها.. ليس بيده إلا أن يدعو الله أن يعمي بصيرتها عن تقديم شكوى ضده... أحضرت "فاطمة" العصير و خرقة من القماش مبللة و قطن و مطهر.. سـألها عما تنوى فعله بهذه الأشـياء، مدت يدها لجبهته و لمسـتها ثم حركت يدها أمام عينه ليجد أن إصـبعها تلطخ بدم!

(8)

طبول أفريقية تضرب برأسها.. عيناها بهما جمرتان من جهنم، حلقها صحراء قاحلة، مملكة نحل كاملة تطن في أذنيها.. لا وجود، لا شعور، لا زمن.. ولا مكان..

ظلت ملقاه أرضـاً على ظهرها شـاخصـة العينين لمدة لا تعلمها حتى سـالت السـوائل من فمها الفاغر دون أن تشـعر ببطء بدأت الأعراض تخفت و تسـتعيد وعيها بالتدريج، شـعرت بأن وجهها مبتلاً بمسـحت بيدها ما تقطر من فمها، ثم تقززت فمسحت يدها في ملابسـها، عيناها تؤلماها بشكل رهيب، ماإن إستعادت إستيعاب بصرها أغمضت عينيها و خبئت وجهها بكفيها فكل ذلك الوقت كانت تنظر لمصباح الغرفة مباشرة، عيناها تئن فيمحاولة لتسكين الألم و إعادة بؤبؤها للحجم الطبيعي، لأكثر من نصف ساعة ظلت ملقاه في هذا الوضع حتى شعرت بهدوء الأعراض، حاولت النهوض عدة مرات فأبى جسدها، زحفت حتى فراشها و إستندت إليه متحاملة على جسدها و أعصـابها و إرتمت فوقه، ومضـات من الذاكرة أضـائت في رأسـها فتذكرت بعض ما حدث و توقعت البعض الآخر، بيد مرتعشـة أمسكت هاتفها و نظرت في السـاعة لتجدها الثانية بعد منتصـف الليل، تركت الهاتف يسقط من يدها بجانبها و أغمضت عينيها..

فتحت عينيها و أمسكت بالهاتف فأنصـدمت بمرور ثلاث سـاعات كاملة، تجزم أنها أغمضـت فقط و لم تنام، شـكت أن يكون الهاتف به خلل أو أنه خُيّل لها أن السـاعة كانت الثانية، إعتدلت بجسـدها أمسـكت بالهاتف.. إتصـلت بالإنترنت اللاسـلكي الخاص بهم فأنهالت أصـوات الإشـعارات على الهاتف، أخذت تتابع و تتابع و تتابع الإشعارات حتى إستوقفها إشعار..

إبتســمت عندما تذكرته، هذا الطبيب الطيب الذي يحتضــن مرضــاه، قرأت رســالته فعلمت أن "رنا" معه فإطمأنت، بالتأكيد هو لم يرسـل لها بتلك الرسـالة ليخبرها عن اختها، بل ليقول لها ها انا ذا و هذا حسـابي، حسناً قد فهمت لعبته و ستلاعبه بنفس الطريقة ، أرسلت له تلك الأيقونة الصفراء التي تدل على الإعجاب.. فقط هذا..

مر الكثير من الوقت و هي بهذا التطبيق الإجتماعي تمرر يدها على شاشة الهاتف ، تقرأ دون أن تتفاعل مع أي منشور، شعرت بالملل فنهضت متحاملة على أنين عظامها و متجاهلة لصداع رأسها، لملمت ما تبقى من زجاجات و ألقت ما فرغ منهم، سمعت صوت أشعار رسالة جديدة ، ببطء توجهت للهاتف و ما إن فتحت الرسالة علت ضحكتها، فقط كف عن التلاعب و أرسل لها رسالة مباشرة تحمل "عايز اقابلك"

ثم أتبعها بأخرى "إبعتيلي رقمك"

****

عدل من وضع ملابسه أمام المرآة ثم أممسك بزجاجة عطر و رش منها على ملابسه و شعره و كتفيه ثم كفه ، وضع هاتفه بجيب بنطاله و خرج من الغرفة ليصتدم أحد الأطفال به و هو يجري:

- تعالى إلعب معانا.

- لا يا ياسين انا ورايا شغل معلش.

- هو كل يوم شغل شغل محدش بيشوفك في البيت.

- معلش بكرة هاجي اقعد معاكوا و نلعب اليوم كله.

ركض " ياسين" لوالدته قائلاً:

- ماما ماما يوسف هييجي يلعب معانا بكرة.

نغزته الأم قائلة:

- يوسف يا قليل الأدب.

و إتجهت نحو "يوسف" تمسح على كتفه و تقول:

- معلش العيال مش واخدين على قاعدتك معاهم، نعمل إيه ماالشغل واخدك مننا.

- معلش أنا يا حبيبتي أنا عارف إني مقصر معاكوا، أنا ورايا شغل كتير فببات هناك، أنا بس قولت أجي أخد دش واغير هدومي و راجع أكمل عشانن ورايا لسة بلاوي متلتلة.

و إنحنى يُقبل يدها و هم أن يغادر ، كاد أن يغلق الباب من خلفه فنادت عليه ليلتفت لها فقالت:

- دة بيتك يا حبيبي.

إبتسم بحنان حقيقي و قال:

- طبعاً يا حبيبتي.. بيتنا.

و أغلق الباب خلفه لتتجمع في مقلتيها دمعتان جاهدت كي لا يسقطا.

***

سـحب أحد المقاعد و جلس واضـعاً هاتفه و محفظته و مفاتيحه على الطاولة ، طلب من النادل كوباً من الماء ثم أمسك بهاتفه و أجرى إتصالاً بـ"نور"

- أنا وصلت أهوه.

ليأتيه صوتها عبر الهاتف:

- و أنا كمان وصلت.

تلفت حوله و هو يقول:

- طب إنتي فين؟

- داخلة من الباب حالاً.

نظر للباب ليجد حورية من حوريات الجنة تعبره، ترتدي فستاناً قصيراً يحمل لون السماء، شعرها يتطاير حول رقبتها مما زاد جمال المشهد ، تضع القليل الخافت من مساحيق التجميل بقدر تكاد تميزه، قد إختفى وجهها النحيل و ظهر وجهاً ممتلئ مستدير ظل ناظراً محدقاً بها حتى إقتربت منه فوقف لإستقبالها ، مد يده لها بالسلام بتناول يدها الناعمة ثم إنحنى وطلع قُبلة على يدها لتبتسم و يحمر خديها خجلاً ، جلسا سوية فأتى نادل أخرق ليقطع حديثهم متسائلاً عما يطلبون فقالت:

ice tea free suger lemon-

و قال هو:

Same Order -

فقالت:

- بتحب الأيس تي؟

- لأ لسة هجربه.

فتعجبت قائلة:

- طب مطلبتش ليه حاجة إنت بتحبها؟

- بحب أقلدك.

إحمر ثغراها مجدداً و قالت في حرج:

- يارب يعجبك.

- أنا متأكد.

تنحنحت بحرج و أبعدت بصرها عن عينيه المحدقتين ثم قالت لتغيير الموضوع:

- كان لازم رنا تدخل المستشفى عشان أشوفك.

- مهو أنا قلبت الدنيا عليكي، و فضلت مستني ردك عالرسالة لحد ما حنيتي عليا.

- أنا بس جيت تليفون جديد و على ما شغلت عليه كل حاجة بقى إنت فاهم.

تقدم النادل و وضع الأكواب أمامهم

- عاملة إيه لواحدك؟

- عايشة.

- أنا عارف إن موضوع أختك ملخبط و شكل رئيس النيابة دة حاططكوا في دماغه.

- أنا بس عاوزاه يسيبنا في حالنا، إحنا عمرنا ما فكرنا نأذي حد.

دمعت عينيها فبدون وعي منه مد يده و مســـح دموعها ثم تحرك ليجلس بالمقعد المجاور لها و يربت على كتفها ثم سحب كفها و احتضنه بكفه فمالت برأسها على كتفه و قالت بشرود:

- إنت مين؟

- أنا واحد مبقاش عارف تأثيرك عليه، بس أنا معاكي.. عايش.

صمت ممل تخلل بين حديثهم و أفقدهم النطق قبل أن تهزمه "نور" قائلة:

- ممكن أطلب منك طلب و متقولش إني مجنونة.

- أنا عمري ما أقول إنك مجنونة، إنتي مش مجنونة.

رفعت رأسها عن كتفه و نظرت لعينيه قائلة:

- ممكن تخليك معايا و متمشيش.

أشاحت ببصرها و هي تقول:

- أنا محتاجالك...

أحاط كتفها بذراعه و جذبها لحضنه و هو يقول:

- هتصدقي لو قولتلك إني محتاجلك أضعاف ما إنتي محتاجالي، أنا مش همشي، وعد.

دفنت رأسها بين كتفه و رقبته فطبع قبلة على فروة رأسها إبتسمت على أثرها، ظل الصمت مصاحباً لهم و شعور بالراحة و الأمان و السعادة يجتاحهم قبل أن تتدارك "نور" نفسها و تنسحب من بين أحضانه برفق و تقول تشتيتاً للموقف:

- طب إيه اللي هيحصل لرنا؟

تبدلت ملامحه الهادئة بإنزعاج عند ذكرها لإسـم تؤأمتها، لم يعرف هل يخبرها بما حدث أم يصـمت ليكتمل اليوم على خير، بعد صمت طال مما أثار قلق "نور" أخبرها و هو يشيح ببصره:

- أنا هساعدها على قد ما أقدر، و هاخد بالي منها كويس، و هطمنك عليها أول بأول.

برزت دمعة ساخنة في عينيها فدفنت رأسها بين كفيها و هي تقول:

- يارب عدي الأيام دي على خير.

- متقلقيش يا نور، كل حاجة هتكون كويسة... وعد!

***

صـفع باب المكتب و ألأقى بجسـده على المقعد و رأسـه مازالت تعصـف، كيف لـــــ"رنا" أن تكون تؤأماً لــ"نور" كيف لهذه الملاك أن تكون تؤأماً لتلك الشيطانة الصغيرة، سيتعامل مع "رنا" بحذر و حرص كي لا تخدعه أو تكشفه، و الأهم كي لا تبعده عن "نور" ...

نور التي لا يعرف إذا ما حدث بينهم يجعلهم مرتبطان أم لم يرقى لذلك بعد، قد اخبرته عن حاجتها له ، و إســـتقرت في حضـــنه لدقائق قليلة، و بدت مهتمة .. لكن كل هذا لا يكفي.. لا يجوز الإعتراف ضـــمنياً بالإرتباط.. ثم كيف يرتبط بها أو يعلقها به و هي لم تعرف ظروفه بعد... هل يمكن لأنثى مثلها أن تتخلى عن أمر مثل هذا! أشـــعل ســـيجارته و نفث دخاناها الرمادي في الهواء قبل أن يســـمع دقات على الباب من ممرض ما لبث أن فتح الباب و دلف و هو يمسك بذراع "رنا" التي باتت باهتة شاحبة شاردة كمدمنة هروين محترفة، وضعها الممرض في المقعد المقابل للمكتب و قيدها جيداً ثم إستأذن و غادر..

ظل الصـمت مصـاحباً لهم و عيناها شـاردة في شـئ ما بعيداً عن وجهه، أو ربما تصـنع منها كي لا تتقابل عينيها مع خاصته ، قطع الصمت قائلاً:

- بصـي يا رنا، أنا هنا عشـان أسـاعد، و عايزك تعرفي إني دكتور نفسـي محترف، و عدى عليا حالات لا تعد ولا تحصـــى و ببقى فاهم اللي قدامي كويس، و عارف يعني إيه تزييف حالات، فمن الأول كدة خليكي صريحة معايا و أنا هساعدك...

- مجنونة.

ظل صامتا منتظر أن تكمل جملتها لكن يبدو أنها قالت ما تريد بالكامل مما جعله يتسائل:

- مجنونة؟!

عالجته قائلة:

- مجنوووونة!

- مين اللي مجنونة با "رنا".

- نور مجنونة.

نهض و تمشى في الغرفة باعثاً توتر و عابثاً بهدوئها و هو يقول:

- لا يا رنا نور مش مجنونة، نور جت و قعدت معايا هنا و إتكلمنا زي ما بكلمك كدة و طلعت مش مجنونة ، و أهيه روحت البيت ..

سكتت مستمعة لكلماته التي ربما تسمعها لأول مرة فعالجها قائلاً:

- و على فكرة بتسلم عليكي.

هنا قفزت "نور" من مكانها ونظرت مباشرة في عينيه فقال:

- Nour is my GF.

هنا ضحكت رنا، ضحكت كما لم تضحك من قبل، ضحكت بصوت عالي، صارخ، ضحكت حتى دمعت عينيها و إحمر وجهها و تقطعت أنفاسها، ضحكت حتى كادت تتقيأ روحها وسط ذهول منه و عدم فهم حقيقي بما تعنيه تلك الضحكات , سال دمعها وسط ضحكاتها و تبدل الضحك إلى أنين فبكاء فنحيب , نهض يوسف و دار حول مقعدها بهدوء حتى توقف خلفها مباشرة، دقائق و هي تنتحب ثم صمت يدل على الشك ، ثم إلتفتت ببطء ليصيح خالد في وجهها:

- كفاية بقى الهبل دة، أنا كنت ساكت عشان اشوف اخرك إيه بس واضح انك هتفضلي كدة كتير ، فوقي يا رنا و خليكي واضحة و صريحة معايا عشان أنا عايز أساعدك .

- ...

- يا رنا أي دكتور حديث التخرج ولا لسة طالب حتى هيعرف انك بتمثلي الأعراض، انتي و أختك مش مجانين و معندكوش اي مرض عقلي ولا نفسي يخليكي تعملي كدة ، انتي مقتلتيش حد يبقى ليه بتعملي كل دة ما تخليكي واضحة و صريحة و مفيش حاجة وحشة هتحصلك لا إنتي ولا نور.

ظلت رنا ساكنة و هي ترمق يوسف ولا تتفاعل حتى مع كلماته مما جعله يصيح قائلا:

- يا رنا قولي أي حاجة و أخرجي برة دور المجنونة دة.

نبتت دمعتين ساخنتين جعلتا مقلتيها حمراوتان كالدم مما جعله يقول بغضب:

- أنا مش بقولك كدة عشان تعيطي، أنا عايز أساعدك إنتي و أختك، ممكن تديني فرصة أعمل كدة.

قالت شئ ما بصوت خافت لم يسمعه فامال رأسه تجاهها قائلاً:

- قولتي إيه؟

فقالت بحزن:

- أنا آسفة.

و قبل أن يدرك لما تعتذر هبط شئ ما صلب على رأسه فسقط أرضاً، حاول فتح عينه ليرى و يفهم ما يحدث ليجد رنا تتحرك نحوهوتقول:

- حقيقي أنا آسفة.

و تهوى بمنفضة السجائر على رأسه.

*****

تعالى رنين الهاتف فألتقطه خالد و نظر لرقم المتصل ثم زفر بملل:

- ألو.

- إيه يا عم خالد شكلك نسيتني.

- لا أنساك إزاي بس، أنا إتشغلت شوية في القضايا مع الحاج، ما انت عارف.

- ما أنا عارف آة، طب إيه يعني هشوفك إمتى؟

- هتشوفني قريب أوي متقلقش.. سلام عشان داخل جلسة.

أغلق الهاتف و نظر في المرآة متحسساً جرحه و أنفه الذي تورم و على وجهه علامات الألم و صاح:

- يا بنت الكلب.

ثم بنقرات عصبية أجرى إتصالاً و ما إن إنفتح الخط حتى قال:

- ألو.

- إيه يا ريس.

- أيه يا سيد بقولك...

- قول يا ريس..

- خلص..

- إنت متأكد يا ريس؟!

- بقولك خلص، سلام.

ثم أغلق الخط و ترك الهاتف على الكمود و تمشـــى إلى غرفة الإســـتحمام الملحقة بغرفته و هو يغني و يتراقص:

- I have got you under my skin

I have got you deep in my heart of me

تصاعد رنين هاتفه مجدداً فتوجه إليه و هو يدندن اللحن قبل ان يجيب قائلاً:

- ألو..

- الواد مش موجود يا ريس.

- طب ما تستناه يا سيد انت بتهرج!

- يا ريس شكله هرب، لم حاجته كلها، الشقة عالأرض!

- نعمممم....!

***

- متنساش البابمبرز يا عم بابا.

ضحك أحمد على طلب زوجته فقال:

- أة، زمان هاتلنا عشـا يا حبيبي، هاتلنا نيسـكافيه، تعالى ناكل برة.. و دلوقتي هات بامبرز، هات بزازة، هات سيريلاك صح!

- على فكرة بقى السيرلاك دة بيبقى ليا أنا أسيل لسة صغيرة عليه.

ضحك كثيراً و قال:

- طب عينيا ليكوا يا حبايب بابا ، أي خدمات تاني؟

- ... قولي شكلاً يا بابا ، شكلاً يا بابا يا عتل، بحبك يا بابا تعالى وحستني..

زادت ضحكات أحمد و هو يقول:

- مش هتأخر يا حبيبي، جايلكوا على طول أهوه، مع السلامة، لا إله الا الله..

ترك الهاتف و نادى على معاون المباحث ليسلمه بعض الأوراق الهامةليقاطعهم صوت طرقات عصبية على باب المكتب ، إتجه المعاون و فتح الباب ليندفع شاب هزيل يلهث قائلاً:

- أحمد باشا، أنا عايز أبلغ عن خالد محروس نصر الدين..

(9)

هذه الذغذغة يعرفها جيداً، هو تحت تأثير مخدر ما، دغدغة على جبينه و أنفه و أسـفل ذقنه و... هذا الفراغ بين أسـنانه! لقد فقد سـناً أو إثنين! يحاول تذكر ما حدث.. رنا! هل هي القاتلة فعلاً.. حاول فتح عينه و هو يعلم مسبقاً أنه سيفشل فالمخدر يبقيه واعياً لكنه يخدر الجسد بالكامل و يفقده القدرة على التحكم به.. حاول أن يستغل حاسة سمعه فالتقطت أذنه شئ ما يتحدث به شخص ما أدرك فيما بعد أنه الطبيب يتحدث إلى شخص ما أدرك أنه أحد أفراد الشرطة المستعلمين عما يحدث و كان رد الطبيب على حالته كالآتي:

- ... و شـرخ في الجمجمة و أحتمال إرتجاج في المخ بس لسـة.... كسـر في الأنف و جروح في...15 غرزة هيحتاج وقت مش أقل من ..... بس خير.

هذا ما إستطاعت آذان يوسف إلتقاطه من الحوار.. هو فاقد إحساسه بالزمن فلا يعلم الليل من النهار ولا يعلم ماذا يحدث له، فقط يعلم أن آلامه تشتد ثم تختفي لبعض الوقت...

هذا اليوم إلتقطت أذنه نحيب يعرفه جيداً، حاول تحريك أي جزء في جســـده فلم يقوى إلا على تحريك اصابع يده فإندفعت يد حنونة و إحتضنت يده و تعالى البكاء ثم صوتها الباكي معتذراً:

- انا عارفة إني السبب في اللي حصلك يا يوسف، لو مكنتش قابلتك.. لو مكنتش ورطتك معايا أنا و أختي مكانش دة حصلك.. عشان خاطري سامحها و سامحني، أنا محتاجالك جمبي يا يوسف، استحمل يا حبيبي و قوملي بالسلامة.

اقتحم سـمعه صـرخة مفزعة من أنثى أخرى ركضـت و جثت على الارض و ظلت تقبل يده و تصـيح فيه و تعتذر له و تعنفه و تبكي عليه قائلة:

- قوم يا حبيبي، قوم معايا العيال مستنيينك في البيت، قوم يا يوسف ، قوم يا حبة عيني ، يا يوسف قوم و بلاش دلع ، قوم يا يوسف..

إنتبهت لوجود نور فنظرت لها شزراً قائلة:

- حضرتك مين؟!

تراجعت نور الذي اصابها الذهول و الصدمة و كادت أن تسقط أرضاً ، ظلت تعتذر و تتأسف حتى خرجت من الغرفة و ركضت بين أروقة المستشفى باكية في حين إقتحم الطبيب و ممرضتان الغرفة لمحاولة إخراج من بالداخل بعد دخولها عنوة...

بكت نور التي فقدت أختها و إتضـح أن حبيبها متزوج و أباً لأطفال! بكت و ركضـت حتى سـيارة خالد و ما إن دخلت حتى إنهارت من البكاء مما أثار فزع خالد متسائلاً:

- حصله حاجة؟!!!

لم ترد لكن زاد بكائها مما دفعه لإحتضـــانها.. ظلت تبكي على كتفه حتى خرت قواها و غفت، أدار محرك سيارته و إنطلق...

****

فتحت رنا عينيها لتجد نفسـها مقيدة بقميص الحالات الخطيرة و موضـوعة في العزل، صـرخت و نادت و هاجت و ماجت لكن بلا جدوى، قامت و دارت في العزل حتى خرت قواها و سقطت أرضاً تبكي و تصرخ و تتلوى ، دخلت إحدى الممرضـــات ذوات الروائح الكريهة عليها و ألقت بحامل الطعام بجانب رنا و كادت تخرج لتستوقفها رنا قائلة:

- هيعملوا فيا إيه؟

- هيعدموكي يا أختي..

و صفعت الباب خلفها لتصرخ رنا صرخة ترج المكان..

****

فتحت نور عينيها لتصتدم بجسد رجل عاري الظهر.. حاولت الصراخ لكن فمها كان عليه شريط لاصق فخرج من حلقها انين مكتوم جعل الرجل يلتفت.. إنه خالد!.. عاري تماما!

حاولت الصراخ و النهوض لكن إكتشفت أن يديها و قدميها مقيدتان.. قبل أن تكتشف أنها هي الأخرى عارية تماماً! صرخت صرخاً مكتوماً حتى كاد أن يتمزق حلقها، يداها تؤلماها كأنهم قد ربطوا بحبل من الجحيم و جسدها يئن ألماً ، إقترب منها خالد قائلاً:

- بصي يا نور عشان منفرهدش بعض، إنتي بتتصوري.. يا تعملي اللي هقولك عليه بدون أي نقاش يا هيحصل بلاوي..أولاً كدة أختك هتتعدم ، أو عالأقل خالص هتقضي باقي عمرها في الخانكة، و طبعاً مش هتستحمل فأكيد هتنتحر.. حبيب القلب مرمي في المستشفى و مين عارف هيقوم ولا.. يعني إنتي ملكيش حد ومعندكيش حاجة تخسريها.. الحاجة الوحيدة اللي ممكن تخسريها هي نفسك.. لو فيديو زي دة نزل عالنت ..وريني هتعيشي تاني إزاي.. ممكن بقى بالهداوة و واحدة واحدة..

إقترب منها فتلوت و صرخت و تحركت فزاد عنفاً و أمسكها من يديها و قرب وجهه من وجهها محاولاً تقبيلها عنوة .. تعالى جرس الباب و خبطات عليه فتوقف للحظة ثم نهض قائلاً:

- راجعلك تاني يا نور...

بكت نور و تمنت الموت قبل عودته آلاف المرات ، أما هو ففتح الباب مرتدياً روب شتوي يخفي جسده، وجد شاباً أسمر اللون ذو جسد رياضي لم يعرف من هو فتسائل:

- مين حضرتك؟ أي خدمة!

نظر الشاب داخل الفيلا فصاح فيه خالد:

- بتدور على حاجة يا عم؟

هنا ضغط الشاب على أسنانه و جمع قبضته و لكمه في أنفه قبضة أسقطته أرضاً و فجرت الدماء منها فركض الشاب داخل الفيلا يبحث و يفتش و يدور بالداخل، لكن دون أن يشعر نهض خالد و أمسك بتمثال رخامي و إخفى نفسه و ما إن إلتفت الشاب ضربه خالد بالتمثال على رأسه فسقط الشاب أرضاً.. حاول الشاب ان ينهض لكن عالجه خالد بضربة اخرى أفقدته الوعي...

***

فتح الشاب عينيه ليجد نفسه مقيد في مقعد و فمه مكمم ، و أمامه خالد بالروب الشتوي و بجانبه نور!.. نور التي لا يستر جسدها شئ! ما إن لمحها حتى أدار وجهه في الإتجاه الآخر فضحك خالد قائلاً:

- إنت بقى الهيرو اللي جاي ينقذها، و بتدور وشك، عايز تحرم نفسك من الجمال دة، طب إيه رأيك إنك هتتفرج علينا، مع بعض، و الموضوع هيعجبك اوي و هتتمنى تكون مكاني أو حتى نتشارك فيها.

هنا إنفجر الشاب غضباً و إستشاط و حاول بكل ما إوتى من قوة أن يفك وثاقه لكن بلا جوى..أمسك خالد محفظة الشاب و رفعها قائلاً:

- بلال وائل رشاد.. إنت إبن وائل رشاد رجل الأعمال؟ أنا سمعت إنك ميت! طلع مش أنا الوحيد اللي بعمل ميت.. بس أنا بعمل ميت عشان اللي في دماغي يمشي صح... إنت بقى يا ترى بتعمل ميت ليه؟ هاه.

و إقترب منه و لكمه في أنفه لتنفجر الدماء منها كما فعلها بلال منذ قليلن ثم إتجه لنور و فك روبه لتصرخ صراخاً مكتوماً قبل أن يسمع رنين جرس الباب و الطرق مجدداً ليقول:

- إنت مأمن على حد؟ ماشي...

إرتدى روبه و خرج من الغرفة، إتجه إلى خزنته و ضغط أزرار كلمة السر و أخرج مسدسه و إتجه إلى الباب، فتحه ليجد قوة من الشرطة ...

****

فتح يوسف عينه للمرة الأولى منذ دخل المستشفى، مروحة تلف ببطء مستفز تدور في الغرفة، حاول أن يلف رقبته بلا جدوى فظل متأملاً في المروحة يحاول إسترجاع ما حدث، نور قالت له (يا حبيبي) ترى هل قصدتها حقاً أم كانت (حبيبي) بريئة تماماً، ثم لماذا إعتذرت و هربت من الغرفة؟ و لما لم تحضر مرة أخرى.. بالتأكيد لشعورها بالذنب على ما فعلته أختها.. لماذا فعلت رنا هذا؟ هل لتثبت أنها مريضة؟ هل تحمي أختها بهذه الطريقة؟ هي بالتأكيد ليست مريضة فقد إعتذرت قبل ان تضربه! ترى ماذا حل بهن؟ هل إستطاع محروس هذا أن يظهر برائتهن؟

ترا لو علمت نور بسره الكبير ستظل تراه (حبيبي) ؟ لن يسبق الأحداث فقط عليه أن يتحامل على نفسه للخروج من هنا.. يتمنى ألا تصاب نور بأذى بسبب إضطرابها الثنائي.. ماذا؟! إضطرابها الثنائي!!!! قد فهم كل شئ الآن! نور ليست مصابة بالإضطراب الثنائي؟ نور.. مصابة بإضطراب الكرب التالي! رنا هي المصابة بالإضطراب ثنائي القطب و... الإضراب المعادي للمجتمع.. رنا هي المريضة.. نور هي من تحمي رنا و ليس العكس... نور العاقلة... رنا هي المريضة.. يجب أن يخبر الجميع بهذا.. رنا يجب أن يصدر تقريرها بأنها مريضة وغير مسئولة عن أفعالها.. يجب أن تودع في الخانكة!

حاول أن ينهض متحاملاً على جسده فصرخ جهاز بجانبه حاول أن يسكته بكل الطرق قبل أن تندفع ممرضة إليه و تحاول تهدئته لكنه يصرخ فيها أن عليه النهوض لكنها تحاول بكل قدرتها أن تقنعه أنه يجب أن يرتاح و كل شئ له حل فيما بعد، الغبية لا تفهم ، حاول أن يدفعها و يلكمها لكي تتركه ينهض لكنها غرست محقناً في ذراعه و أفرغت محتواه لتخر قواه و يهدأ و يبدأ في فقدان وعي تدريجي منظم.

****

- إنت خالد محروس نصر الدين؟

قالها أحد رجال الشرطة فرد خالد:

- أيوة يا فندم أي خدمة؟

- معانا أمر ضبط و إحضار...

- أيوة طب تسمحلي أغير هدومي عالأقل.. أنا محامي ولازم أكون موجود عالأقل بشكل مهندم..

- معاك 10 دقايق.. و إسمحلي.. في عسكري هيطلع معاك.

- خلاص يافندم تحت أمرك..

تقدم خالد العسكري و صعد خلفه لغرفة النوم.. إستأذنه خالد ليدخل و يبدل ملابسه فسمح له العسكري.. دخل خالد و بعد دقائق خرج مرتدياً بدلة كحلية اللون , تقدمه العسكري حتى وصل للأسفل، أغلق باب الفيلا خلفه و إستأذن الضابط أن يحضر خلفهم بسيارته الخاصة لكن الضابط رفض و أجبره على الصعود للبوكس.. إبتعد البوكس عن الفيلا و عيني خالد معلقتان على نافذة الغرفة المقيد بها بلال و نور..

أما عنهم فنور ظلت تبكي و تبكي و تبكي بينما بلال حاول بكل الطرق فك قيده ، ظل يتقلب و يحرك يديه و قدميه و يبتلوى مكانه ثم دفع نفسه للخلف ليسقط مع مقعده.. تألم كثيراً قبل أن يزحف و يزحف و يزحف و يفرد جسده قدر المستطاع غير عابئ بالألم الذي يفتك به، ثم يثني جسده حتى حرر قدميه ، ظل يتحرك بحركات عشوائية حتى تحرر، نهض متجنباً النظر إلى نور و خرج مسرعاً ، عاد يحمل في يده بضع من الملابس الذي وجدها أمامه ، حاول تحريرها دون النظر لجسدها، حرر يدها و ترك لها الملابس و خرج ينتظرها حتى تفرغ من إرتدائها..

لما تأخرت نور نادى عليها فلم تجب، طرق الباب فلم ترد، دخل الغرفة ليجدها ساقطة أرضاً و بركة دماء تسيل منها.. من يديها.. نور تنتحر!!!!

****

يجلس خالد أمام رئيس النيابة باسماً واثقاً من نفسه يستمع للإتهامات قبل أن يقول أحمد:

- ما أقوالك فيما هو منسوب إليك؟

- محصلش..

- أنهي فيهم اللي محصلش؟

- كل اللي حضرتك قولته دة محصلش.

- و إيه صلتك برامز سرور عبد المتعال؟

- معرفش عنه حاجة.

- يعني حضرتك يا أستاذ خالد بتنفي معرفتك برامز و بتنفي عن نفسك الإتهامات.

- بالظبط كدة.

- في تسجيلات إتقدمت للنيابة فيها صوتك إنت و رامز و إنتوا بتتفقوا على كل حاجة...

- أنا متأكد إن التسجيلات دي متفبركة و بطالب بالكشف عن صحتها، و لو مش متفبركة فهي تمت بشكل غير قانوني و بالتالي ملهاش أي فايدة في القضية، و بعدين يا فندم أنا و والدي طول عمرنا المحاميين بتوع نور و رنا و أبوهم الله يرحمه، إيه اللي يخليني أعمل كدة؟

- قولي إنت؟

- حضرتك لو في أي إتهام تاني ممكن توجههولي، لو مفيش ياريت تخلي سبيلي عشان ورايا محكمة الصبح...

صمت أحمد قليلاً لا يعرف ماذا يفعل ثم قال:

- يحبس المتهم 14 يوم على ذمة التحقيق...

ليصيح خالد قائلاً:

- إنت إتجننت! إنت عارف أنا مين؟ اللي إنت بتعمله دة غير قانوني! أنا هخرب بيتك.

حافظ أحمد على هدوئه و أكمل:

- و يراعى التجديد له في الميعاد.

****

إقتحم بلال قسم الطوارئ و هو يحمل نور الفاقدة الوعي و ملابسهم تقطران دماً، هرع إليه الأطباء و الممرضون و وضعوها على سرير ثم صاح فيه الطبيب لماذا لم يكتم جرحها حرصاً على فقدان الدم فلم

يجب، كان مشـــتتاً و مذهولاً و خائفاً إلى الحد الذي أوقف عقله عن التفكير، ســـأله ممرض عن إســـمها و عمرها و الأدوية التي ممنوعة عنها و عن إســـمه و صـــلته بها و كان يجيب بشـــرود و ذهول ، أنهى هذه الإجراءات و سقط على أقرب مقعد بجانبه دافناً رأسه بين كفيه، دقائق و نبت بجانبه أحمد لا يعرف كيف و متى! قال له أحمد:

- إنت بلال اللي جيه مع نور؟

- أيوة مين حضرتك؟

- أنا أحمد خطاب، رئيس نيابة.

- إيه؟ ليه يا فندم!

- متقلقش إنت مش متهم بحاجة، أنا عايزك تحكيلي إيه اللي حصـــل بالظبط و من غيرما تخبي عليا أي حاجة، و إعرف إني أكتر واحد هيساعدك و يساعدها.

قص عليه بلال كل شئ وسط ذهول نجح أحمد في إخفائه و قال:

- هتشهد بكل دة في النيابة...

- أيوة بس حضرتك عارف.. دي بنت و محاولة اغتصاب و الإعلام و..

- متقلقش يا بلال انا هقولك إيه بالظبط متقولوش عشـان ميحصـلش أي حاجة تضـر نور، و أنا مقدر جداً إنك هتعمل كل دة و هتشهد برغم إنك كنت عايز تهرب من الإعلام.

- يا فندم أنا عايز أساعدهم بأي طريقة و اي حاجة أقدر عليها.

- هقولك، بلغوني إن الدكتور اللي مســـئول عن حالتهم فاق و بيطلب الشـــهادة ، لحد ما نور تفوق تعالى معايا نروحله و بعدها نطلع عالنيابة ناخد أقوالك...

****

(10)

تجمعت الخيوط في يد أحمد، ما عليه سوى ربطها لفهم كل شئ.. أخرج ورقة بيضاء و أمسك بقلمه و كتب (نور) و أحاطها بدائرة ثم (رنا) و أحاطها بدائرة ثم (خالد) و أحاطها بدائرة ثم (بلال) و أحاطها بدائرة

أسفل نور كتب (إضراب الكرب التالي) من البداية و نور تتصرف على إنها هي المريضة لتحمي أختها!

أسفل رنا كتب (إضطراب ثنائي القطب)...

****

ظلت "رنا" تصرخ بكلمات الأغنية طوال الطريق و تصرخ بمرح كأنها تذهب في رحلة مدرسية مما أثار دهشة "خالد.."

****

بهدوء دخلت "نور" إحدى الغرف و لم تسمع ما تحدث به الضابط مع "رنا" و لم تهتم، خرجت فوجدت عسكريان ممسكان بذراعي "رنا" فقالت لهم:

سيبوها قولتلكوا أنا نور

****

- لو في أي إتهام أو أي إستفسار يكون بحضور أستاذ محروس نصر الدين المحامي وإسمحلي أستأذن عشان سايبة نور لواحدها و دة خطر جدا عليها

****

- و توقعيه ليه؟ دة جزاءه عشان ساعدك يعني! ولا عشان يتعور توديه المستشفى تبقوا خالصي!

- مستشفي إيه! ركزي يا نور، قصدي أوقعه في واحدة فينا

- بتهزري صح!

- لا بتلكم بجد، عارفة دة أبوه مين؟ لو إتجوز واحدة فينا مش هيخليها محتاجة حاجة.

- ركزي يا رورو، أنتي واخدة بالك بتقولي إيه؟

****

إذاً كل هذا خطة تم وضعها و الإتفاق عليها و تنفيذها بحضور نور و رنا و محروس و خالد، لكن خالد لم يعجبه الأمر...حسناً إن لم تكن رنا القاتلة.. فمن يكون القاتل إذا؟

حدسه البوليسي يخبره شيئاً لابد أن يتاكد منه... لكن بدون نور و رنا سيكون كل شئ مستحيلاً...

بعد أيام خرجت نور من المستشفى و قد تحسنت حالتها، و صدر القرار من قسم الجرائم النفسية و العقلية بحجز رنا في الخانكة و عدم مسئوليتها عن أفعالها لكن بالرغم من ذلك تم إستدعائها كشاهدة في النيابة هي و نور، جلست الأختين مقابل بعضهم أمام مكتب رئيس النيابة، أمر أحمد العسكري بإحضار من بالخارج فدخل رامز و توقف أمام المكتب و إرتسم عليه علامات القلق فقال احمد:

- في حد فيكوا يعرف الراجل دة أو شافه قبل كدة؟

نظرت نور و رنا إليه فقالت نور على الفور:

- دة الدليفري بتاع السوبر ماركت...

و قالت رنا:

- دة اللي وداني المستشفى ، جاري اللي لقاني واقعة قدام باب البيت...

****

- أن متأسف نسيت أعرفك بنفسي، أنا سامح عبد الله مصمم جرافيك و عندي باند مزيكا على قدي

****

- أيوة هو، قالي إنه جاري ولقاني واقعة قدام الباب وداني المستشفى**!**

هكذا قالت رنا قبل أن تصرخ:

- أيوة أيوة أنا إفتكرت.. هو اللي ضرب طارق على دامغه**!!!**

****

عدل من ملابسه إثر حمله لـــ"رنا" و أقنع نفسه أنه بذل ما بوسعه و هم أن يغادر لكن قبل أن يلتفت شعر بشئ ما صلب ضربه على رأسه من الخلف.. حاول أن يلتفت لكن جسده لم يسعفه.. سقط على ركبتيه و هو ينظر لـــــ"رنا" النائمة لا تشعر بشئ، حاول أن ينهض.. أن يتماسك.. لكن عينه أصرت أن توئد النور عن بصره فسقط فاقداً لوعيه.. أو أسوأ...

****

قال أحمد:

- كدة وضحت يا رامز باشا، شغال في السوبر ماركت عشان تشوفهم و هما داخلين و خارجين، و سهل عليك تدخل أي شـــقة في العمارة بما إنك بتاع الدليفري، قتلت محمود عشـــان تلبس التهمة لنور، و لما رنا رجعت من عند خالد كلمك و قالك اسـتناها و لما لقيتها تعبانة طلعت وراها لقيت طارق فقتلته، إنت إعترفت بكل حاجة بينك و بين خالد بس مفولتش إنك إنت اللي بتقتل، و قولت أكيد خالد مش هيقول إنك قتلت عشـان كدة بيعترف على نفسه.. مجاش في دماغك إن كل دة يحصل..

صرخ رامز:

- يا باشا خالد باشا ماسك عليا ذلة، لو مكنتش سمعت كلامه كنت هروح في حديد و كل ما كنت بقول لا بيهددني.. أنا عملت كل دة غصـــب عني يا باشـــا و جيت إعترفت على باقي الحاجات بس دي فيها إعدام يا باشا فيها إعدام كان لازم مقولش.

- يعني كمان عارف إن فيها إعدام! طب يا سيدي أحكيلي كل اللي محكيتش و أنا مش هخليك تتعدم.

- بجد يا باشا؟

صاح فيه أحمد:

- و أنا ههزر معاك!

- حاضر، حاضر يا باشا، الريس خالد كان بيقولي أحط دوا كدة في الخمرة بتاعة الأنسة...

إتسعت عينا نور و رنا لتقول رنا:

- خمرة تاني يا نور!!!

صرخ أحمد:

- كمل يابني؟

- مرة ســـألته الدوا عبارة عن أيه عشـــان أحطه لمراتي فقالي أنت فاهم غلط ياحمار مراتك لو خدت من الدوا دة ممكن تقتلك و انت نايم...

- قصدك إيه؟

- هو قالي يا باشـا إنه بيلعب في الأعصـاب خصـوصـاً إنها هتشـربه مع الخمرة ، و الله ما أعرف حاجة تاني يا باشا...

- إيه تاني؟

- كنت بقوله طالعين أمتى و راجعين إمتى و كنت بقوله طالبين إيه من السـوبر ماركت فيقولي أحط أنهي دوا في أنهي أكل أو شرب و كنت بعمل كدة، و الله يا باشا دة كل اللي أعرفه و لما شك فيا بعت واحد يقتلني زي ما شرحت لحضرتك كدة يا باشا.

- خلاص يا رامز ، إمضي على أقوالك...

- من غير أعدام يا باشا؟

- ما تمضي يا روح أمك..

****

تجلس نور في أحد الكافيهات ممسـكة بهاتفها تتصـفح موقع التواصـل الإجتماعي ليظهر أمامها خبر تأجيل محاكمة خالد محروس نصر الدين.. ثم يرن جرس هاتفها برقم تم تسجيله بإسم (أحمد عبد الحي) :

- ألو...

- أطلعي يا نور إحنا برة في العربية.

تركت ورقة نقدية من فئة الخمسون على الطاولة و خرجت لتجد أحمد و فاطمة في سيارتهم، توجهت إليهم و فتحت باب السيارة الخلفي و دلفت بجانب فاطمة قائلة:

- هاتي أسيل يا فطومة.

- لا يا اختي خليها في حضن مامي .

ضحكت نور قائلة:

- هاتيها يا رخمة هي بتحب نونة حبيبة قلبها أصلاً.

نظرت فاطمة لأسيل قائلة:

- آل يا أسيل، تسيبي مامي و تروحي لنونة.

ضحكت أسيل فخطفتها نور من يد أمها قائلة:

- أهوه ضحكت أهوه، يا خلاثي عالعسل، ربنا يباركلكوا فيها.

قال أحمد:

- لما نوصل إطلعي هاتيه و إحنا هنستناكي في العربية.

قالت فاطمة:

- نعم، لا يا بابا أنا مش هسيب نونة لواحدها، أنا هطلع معاها أنا و أسيل.

- لا، عايزة تطلعي إطلعي و ملكيش دعوة بأسيل، دي حبيبة بابا و مش هتسيبه...

وصلت السيارة أسفل المستشفى و صعدت نور و فاطمة غرفة يوسف ، طرقوا الباب ففتح لهم طفل، إستأذنت فاطمة و نور في الدخول وهم مذهولون فوجدت نور زوجة يوسف تجلس بجانبه على الفراش ، إعتدل يوسف في جلسته و قامت زوجته ترحب بهم فقال يوسف:

- ملوش لزوم التعب دة يا جماعة و الله.

قالت نور بحرج:

- لا تعب ولا حاجة المهم إنك بقيت بخير.

- أومال أحمد باشا فين؟

ردت فاطمة:

- أحمد باشا مستنيك تحت في العربية، يلا قوم كدة و إنشف عشان ننزل كلنا.

نهض أحمد من الفراش بثقل مستنداً على زوجته خطوتان و قال:

- معلش يا حبيبتي إرتاحي إنتي و هسند على نور عشان عايز أقولها حاجة.

وسط ذهول من فاطمة و نور إتجهت نور إليه و إستند عليها و تقدمت الزوجة بجانب فاطمة و الأطفال من حولهم.. و عند إستقبال المستشفى قالت نور:

- إزاي تسيب مراتك و تسند عليا أنا؟ مش ذوقية خالص دي.

صمت قليلاً يحاول استيعاب ما تقوله ثم إنفجر ضاحكاً مما أثار فضول كل من بالمستشفى ، فقال ضاحكاً:

- دي مراتي؟

و نادى عليها قائلاً:

- تعالي يا حنان، دي حنان، أختي الكبيرة، و دي يا حنان نور.. تقدري تعتبريها خطيبة أخوكي..

نظرت له نور بعدم إستيعاب لأي مما حدث ، هذه أخته! و خطيبتي! ماذا يحدث؟ ماذا قال للتو؟

قال لها يوسف:

- معلش أنا قولتها بطريقة غير مباشرة و دي قلة ذوق مني، نور... أنا بحبك.

و هنا قفزت نور في حضنه قفزة تألم على أثرها مما جعلها تتأسف و تقبل رأسه معتذرة ليقبل هو يدها و جبينها قائلاً:

- متتأسفيش على أي حاجة يا نور، أنا بحبك... و مش بسألك بقى.. دي جملة خبرية... إنتي هتتجوزيني..

قالت بدلع:

- يا سلام.. لا هفكر...

فضحك كل من حولهم لتقول بدلال:

- موافقة.

جذبها لحضنه و غاصت هي بين ضلوعه تغزوها سعادة لم تعلم قدرها و لم تهتم قاطع حديثهم صوت أحمد قائلاً:

- طب يا عالم يا حَبّيبة في راجل ملطوع برة في الشمس ..

تعالت ضحكات الجميع وتوجه الكل إلى السيارات، أصرت فاطمة أن تركب معها حنان و الأولاد و أصرت نور أن تركب السيارة مع يوسف متحججة أن لا أحد يستطيع القيادة غيرها و يوسف و هو غير قادر على القيادة الآن، و قبل أن يدلف كل منهم للسيارات قالت حنان:

- أحنا نطلع عندنا عشان الكل معزوم عالغدا النهاردة..

و إنطلقت السيارات....

****

هذه من إمتيازات أن تكون غنياً و مشهوراً، لا ينغلق في وجهك أي باب..

إنتظر بلال حتى عالج الممرض باب العزل ،ثم تقدم بلال بخطوات بطيئة، غرفة بيضاء إلى حد الإختناق، و ها هي أميرته نائمة، كأنها نائمة وسط الجليد، شعرها الأسود الناعم مفروداً على وسادتها.. ملامحها الهادئة عبثت في قلبه و بعثرته أكثر و أكثر.. جلس بجانبها و مد يده إلى يدها في حنان ثم رفعها إلى فمه و طبع قبلة رقيقة عليها قائلاً:

- شدي حيلك يا رنا و عافري كدة عشان تخرجي من هنا، و أنا أوعدك هتخرجي تلاقيني مستنيكي مهما إتأخرتي، مفيش أي حاجة حصلتلك أو حصلتلي تخليني أتخلى عنك.. أنا بحبك يا رنا، بحبك و دي حاجة عمرها ما هتتغير.. و هسألك تاني و تالت و رابع... تتجوزيني!

****

سحب لها المقعد لتجلس هي و إبتسامتها لا تفارق شفتيها، جلس بالمقعد المقابل و أشار للنادل الذي إقترب متلقياً طلباتهم قبل أن يغادر، أمسكت نور بيد يوسف بكلتا يديها و السعادة تغمرها و قالت:

- يمكن الإضطراب بيخليني أحس بالفرح و الحزن أكتر من الطبيعي بكتير، بس الفرحة و السعادة اللي فوق الطبيعي اللي بحسها معاك الإضطراب ملوش أي دعوة بيها.

إبتسم يوسف نصف إبتسامة و رفع رأسه لتصطدم عينيه بعيني نور فأخفض رأسه مرة أخرى هرباً من عينيها، لكنه تأخر فقد علمت أنه ليس على ما يرام..

إختفت إبتسامتها و سألت:

- مالك يا يوسف؟

حاول أن يداري ما به فرسم إبتسامة زائفة و قال:

- مفيش يا حبيبتي دماغي مشغولة بالشغل بس...

- شغل!

تلعثم و هو يقول:

- ما إنتي عارفة، شـغل و ترتيبات جواز و هسـيب البيت عند أختي و عيالها و شـاغل دماغي مين هيخلي باله منهم و كدة يعني..متقلقيش.

- و الله، على أساس إنك مش بتقعد بالشهر مبتدخلش البيت و متعرفش عنهم حاجة؟

ضحك رغماً عنه قائلاً:

- هي لحقت قالتلك كل حاجة؟

لم تضـــحك و لم تتغير ملامحها لكنها رفعت يدها الممســـكة بيده و طبعت قبلة عليها مما بدل حاله، شـــعر بأقصى درجات السعادة إثر تلك القبلة، فما أدراك بقبلة أنثى ليد رجلها.. إبتسمت له في حنان و قالت:

- أياً كان اللي شـــاغل بالك و مخليك مش عارف تتبســـط و مش معايا خالص كدة قولهولي و هنحله مع بعض.

ظل متأملاً إياها لدقائق طالت، هو يحبها حقاً و يقدر كل ما تفعله ، لكن مرتعد من فكرة خسارتها، و كيف له أن يحرم تلك الملاك من حق كهذا... طال صمته فتفهمت و إبتسمت مرة أخرى و قالت:

- ولا يهمك.. وقت ما تكون جاهز و عايز تحكيلي إبقى إحكيلي...أنا بس مش عايزة أشـــوفك كدة كتير هاه..

قالت الجملة الأخيرة بلهجة تهديدية مرحة فأغمض عينيه شدة ثم فتحهم و هو يلقي على مسامعها:

- نور أنا مش بخلف....

لينفرج فك نور و تتسع عينيها من هول المفاجأة، رغماً عنها سالت دمعة ساخنة على وجنتها و ظلت صامتة للحظات –ظاهرياً- لكن بداخلها برزت آلاف الأسئلة... لما طال صمتها سألها يوسف:

- نور...!

كتمت نور إحساسها و سألت بلهجة جاهدت لتبدو طبيعية:

- إنت مش عايز تخلف مني عشان ولادنا ميورثوش المرض.. صح؟!

إستغرب ما قالته و كاد أن يرد لكن إقتحم النادل جلستهم واضعاً ما طلبوه أمامهم و ما إن إنصرف حتى قال يوسف:

- إيه اللي بتقوليه دة يا نور، أنا أتمنى طفل منك، لا طفل إيه، أنا عايز حضـــانة كاملة منك.. و حياتك عندي يا نور أنا ما يهمني اي حاجة غير إنك تكوني معايا، و موضـــوع الخلفة دة عمره ما شـــغل بالي ولا كان فارق معايا.. لحد ما حبيتك...

- إشمعنى..

- عشان أول حاجة كان نفسي في طفل منك، ولد بنت مش فارقة، المهم يكون منك ، ثانياً عشان....

صمت و طأطأ رأسه فقالت:

- تبقى عبيط لو فكرت إني ممكن أسيبك بسبب الموضوع دة...

نصـف إبتسـامة إرتسـم على شـفتيه و إتسـعت حدقتيه و كاد أن يقول شـيئاً قبل أن يسـمع رنين هاتفه، نظر للمتصل و قال:

- إيه دة غريبة!

- في حاجة ولا إيه؟

- بلال بيتصل!

- طب رد أكيد حاجة مهمة

فتح المكالمة و كاد أن يضع الهاتف على أذنه ليسمع صوت بلال يصرخ:

- إلحق رنا يا دكتور يوسف... بسرعة.....!

إلى اللقاء في الجزء الثاني

مختلة

حين تفتح عينيك في مكان لا تعرفه..
وحين لا تكون هناك أجوبة لأي سوال..
وحين يصبح الصمت هو اللغة الوحيدة من حولك..
تعلم أنك لست في حل
بل في متاهة..

محمد حسين, كاتب و مصمم جرافيك من مواليد القاهرة, صدر له رواية البديل 2017 المجموعة القصصية لا تقرأني فقد تصيبك لعنتي 2018 ،الخامس مجموعة قصصية 2020 و تعتبر رواية مختلة هي العمل الرابع للكاتب.